
سِفْر الرجوع
ספר החזרות
د / محمد إبراهيم

سِفْرالرجوع

قصص قصيرة

د/ محمد إبراهيم

جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى

2021

إلى كل من آمنوا بنا
وساندونا

لا جزى الله دمعَ عينىَ خيراً   وجزى الله كلَّ خيرٍ لسانى

نــم دمعــى فليس يكتُـم شيئـاً   ورأيــتُ اللَّسانَ ذا كِتْمــانِ

كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاهُ طيٌّ   فاستدلُّــوا عليــه بالعُنْوانِ

" العباس بن الأحنف "

آدم وفريدة

يجلس المعلم سالم أمام دكانه لبيع قطع غيار السيارات ، مرتدياً قميص مشجر من الحرير ، ومرتدياً فى يده خاتم كبير من الذهب ، وقد صبغ شعره حتى يخفى الشيب وعمره الذى تجاوز الستين ، وهو يدخن الشيشة ويحتسى الشاى ، وإلى جواره صديقه المعلم جبر .

وأثناء ذلك ، يخرج من المنزل الموجود به الدكان ، آدم وفريدة ، متجهان إلى عملهما ، فهما يعملان موظفان بإحدى المصالح الحكومية .

نظر سالم لفريدة ، وهى تسير بجوار زوجها آدم ، نظرة شهوانية ، وتفحص جسدها من رأسها حتى كعبها ، ثم قال لصديقه جبر : يا أخى مش عارف البت فريدة إيه اللى عاجبها فى جوزها الجعر آدم ، لا منظر ولا مال ، واد بيكح تراب .

جبر : بيحبوا بعض .

سالم : حب إيه ؟، دى عايزة واحد زيى ينغنغها فى العز .

جبر : إيه يامعلم ؟، إنت عينك زاغت عليها ؟.

سالم : نفسى فيها من زمان ، هى دى اللى تدلعنى وترجعلى شبابى .

جبر : لكن فرق السن بينكم كبير ، وكمان متجوزة .

سالم : ماهو لو الواد ده يطلقها ، أتجوزها على طول .

جبر : ومراتك ؟.

سالم : مراتى عجزت ، وما خلفتش غير بنت واحدة ، نفسى فى فريدة تدلعنى وترجع لى شبابى ، وتجيب لى الولد ، بس إزاى .

جبر : واللى يخلى آدم يطلقها وتتجوزها ، تعمل معاه إيه ؟.

سالم : أنفذ له كل طلباته .

جبر : طيب ، أنا هأخليه يطلقها ، بس على شرط ، تسيبلى المزاد الجاى بتاع شركة الحديد .

سالم : موافق .

جبر : شوف يامعلم ، إنت تقرب من الواد آدم ، وتاخده تحت جناحك ، الواد مديون وظروفه زفت ، وبعدين عشّمه إنه يتجوز بنتك ، واشرط**....**

سالم مقاطعاً : أنا أجوز بنتى للهلفوت ده .

جبر : مين قال كده ، صبرك بالله يامعلم ، إنت هتعشّمه بس ، وهو هيفرح علشان هيناسبك ، واشرط عليه ، إنه يطلق مراته الأول ، وبعد ما يطلقها ، تتجوزها إنت .

سالم : والله كلام يتوزن بالدهب .

وبدأ سالم فى التقرب من آدم رويداً رويداً ، وفى أحد الأيام ، قال له : بقولك إيه ياآدم يابنى ، المثل بيقول اخطب لبنتك وما تخطبش لإبنك ، وأنا عندى بنت وحيدة ، هى اللى طلعت بيها من الدنيا ، وكل مالى وأملاكى هيبقوا ملكها .

آدم : ربنا يديك طولة العمر يامعلم ، وتجوزها وتفرح بولادها .

سالم : ماهو ده اللى نفسى فيه ، وكل ما يجيلها عريس ترفضه ، لحد ما أخدت بالى إنها معجبة بيك ، وسألتها وصارحتنى ، وما أكدبش عليك زعقت وبهدلت الدنيا ، بس لقيت البنت بتحبك ، وإنت يابنى إنسان محترم ، ومش هالاقى لها أحسن منك ، إنت اللى هتحافظ عليها .

آدم : لكن يامعلم ، أنا متجوز ، وبحب مراتى .

سالم : شايف العز والمال ده كله ، هيبقى بتاعك ، وهاسدد كل ديونك ، بس خد بالك ، بنتى ما تدخلش على ضرة .

صمت آدم للحظات ، ولكن سالم بادره ، وأخرج من خزينة الدكان ثلاثين ألف جنيه .

سالم : خد ياآدم ، دول تلاتين ألف جنيه ، سدد ديونك ، ودلع نفسك ، وفكر فى اللى قلتلك عليه .

رفض آدم أخذ النقود ، ولكن سالم أصر عليه حتى أخذها ، وانصرف إلى منزله ، بعد أن أمضاه سالم على إيصال أمانة بالمبلغ ، حتى يفكر فى العرض

الذى عرضه عليه .

عاد آدم لمنزله وهو واجم ، وقابلته فريدة بابتسامتها الجميلة المعتادة ، ولاحظت وجهه المتغير ، فقالت : مالك ياحبيبى ؟!.

آدم : مفيش ياحبيبتى .

فريدة : إيه الكيس اللى فى إيدك ده ؟!.

آدم : دول تلاتين ألف جنيه من المعلم سالم ، خلانى اخدهم ، بيقول عايز يساعدنى فى تسديد ديونى .

فريدة : وتاخد منه فلوس ليه ، الديون إن شاء الله هنسددها ، إنزل رجعهم ليه تانى .

آدم : خليهم معاكى دلوقتى وأبقى أرجعهم بعدين .

لم يستطع آدم النوم فى تلك الليلة من كثرة التفكير ، وظل على هذه الحال لمدة ثلاث ليالى ، يفكر فى هذا العرض ، وبعد عدة أيام غلبته شقوته ، وذهب للمأذون وطلق فريدة غيابياً ، وأرسل إليها ورقة الطلاق ، ولم يكن عنده القدر الكافى من الشجاعة على مواجهتها ، فلم يعد مجدداً للمنزل .

ثم ذهب للمعلم سالم ، وقال : أنا طلقت فريدة يامعلم ، عايزين نحدد ميعاد فرحى على بنتك .

سالم : لا ياحلو ، لما تخلص العدة ، أضمن منين إنك ما ترجعش فى كلامك

وبعد ما تتجوز بنتى ترد فريدة تانى ، العدة تخلص الأول ، وبعدين نحدد ميعاد الفرح .

وصلت ورقة الطلاق لفريدة وكانت صدمة عمرها ، لماذا ، بعد هذا الحب ، وهذه السنين يطلقها آدم ، دون حتى أن يبدى لها الأسباب ، ما الخطأ الذى أخطأته فى حقه حتى يقدم على هذه الفعلة .

وبعد أن مرت شهور العدة ، ذهب آدم للمعلم سالم ، وقال : العدة خلصت أهى يامعلم .

سالم : بصراحة يابنى بنتى غيرت رأيها ، وفيه واحد إتقدم لها ، ووافقت عليه ، معلش مفيش نصيب .

آدم : مفيش نصيب ؟! ، إزاى ؟!.

سالم ، بصوت عالى : أهو ده اللى حصل ، يلا غور من هنا .

مشى آدم وهو تائه ، لقد ضحى بحب عمره من أجل المال ، ففقد حبيبته ولم يحصل على المال ، لقد خسر كل شئ نتيجة طمعه .

وبعد عدة أيام ، كان المعلم سالم جالس فى دكانه مع صديقه جبر ، فقال سالم : أنا هاروح الليلة أخطب فريدة .

جبر : لا ، إستنى .

سالم : أستنى إيه ؟!، ما خلاص إتطلقت ، وعدتها خلصت .

جبر : لو إنت رحت بنفسك هترفضك ، ما تنساش فرق السن اللى بينكم .

سالم : أمال هاعمل إيه ؟.

جبر : إنت بكرة تروح للشيخ أبوالمحاسن ، إمام الجامع وتكلمه ، هو صاحب أبوها وراجل كل الناس بتقدره ، وهو يروح يخطبهالك ، هيقدر يأثر عليها ، ومش هتقدر ترفض طلبه .

سالم : عندك حق .

وفى اليوم التالى وقت صلاة الظهر ، دخل سالم المسجد ربما لأول مرة فى حياته ، وبعد الصلاة جلس مع الشيخ أبوالمحاسن وحدهما وحدثه فى موضوع فريدة .

فقال الشيخ أبوالمحاسن : أنا هاروح لها بعد العصر وافاتحها فى الموضوع وأعرض عليها طلبك ، والقرار الأول والأخير ليها يامعلم .

سالم : ما إحنا عايزين همتك معانا ياشيخ .

الشيخ أبوالمحاسن : أنا هأنقل ليها كل كلامك ، زى ما قلته بالظبط ، وبعد صلاة العشا هاجيب لك الرد وربنا يعمل ما فيه الخير .

وبعد صلاة العصر ، وأثناء خروج الشيخ أبوالمحاسن من المسجد ، قابله جمال ، أحد سكان الشارع .

جمال شاب قريب فى العمر من فريدة ، يعمل بإحدى الشركات .

فقال جمال ، بعد أن سلم على الشيخ أبوالمحاسن : فيه موضوع كنت عايز أكلمك فيه يامولانا .

الشيخ أبوالمحاسن : خير ياجمال يابنى .

جمال : أنا عايز أخطب فريدة ، وكنت عايزك تكلمها تشوف رأيها .

صمت الشيخ أبوالمحاسن للحظات ، ثم قال : ماشى يابنى ، أنا رايح عندها دلوقتى ، هأكلمها وأرد عليك .

ثم ترك جمال واتجه لمنزل فريدة ، وبعد أن دخل ورحبت به ، وأحضرت له الشاى ، قال : شوفى يافريدة يابنتى ، أبوكى صاحب عمرى ، وإنتى فى مقام بنتى ، وفيه ناس كلمتنى عليكى علشان الجواز .

فريدة : أنا مش عايزة أتجوز تانى ياعمى .

الشيخ أبوالمحاسن : يابنتى إنتى عايشة لوحدك ، والجواز ستر ليكى ، إنسى اللى حصل من آدم ، وإبدأى حياة جديدة .

ثم أخبرها بطلبىّ الزواج ، من المعلم سالم ومن جمال ، فقالت فريدة : ياعمى إنت فى مقام أبويا ، إنت تختار ليا مين .

الشيخ أبوالمحاسن : شوفى يابنتى المعلم سالم راجل مقتدر لكنه قد أبوكى ،

غير إنه راجل أخلاقه مش ولابد ، وجمال شاب على قد حاله لكن الفلوس مش كل حاجة ، بصراحة جمال هو اللى هيقدرك ويحافظ عليكى ، أنا لو هأختار ، أختار جمال ، لكن الإختيار والقرار ليكى لوحدك ، أنا بأقول رأيى وبس .

صمتت فريدة : وأنا بأثق فى حضرتك ، وفى رأيك .

الشيخ أبوالمحاسن : على بركة الله ، أنا هأبلغ جمال بموافقتك ، وأعرف سالم إن مفيش نصيب .

وبعد صلاة العشاء ، ذهب الشيخ أبوالمحاسن للمعلم سالم ، وأخبره برفض فريدة الزواج منه ، ولكنه لم ييأس وحاول مرة أخرى وذهب إليها بنفسه ، وقوبل بالرفض مجدداً .

وبعد عدة أيام ، تم إعلان خطبة فريدة على جمال ، فاستشاط سالم غضباً .

وقرر أن ينتقم فى شخص آدم ، فأرسل إليه بأن يعيد الثلاثين ألف جنيه ، وإلّا سوف يشتكيه بإيصال الأمانة ويودعه السجن .

وحدث آدم نفسه ، قائلاً : تستاهل ، ضيعت فريدة حب عمرك علشان الفلوس ، ودلوقتى هتتسجن ، دا ذنبها ، إنت ظلمتها .

وظل طول الليل يبكى على ما أضاعه .

وفى اليوم التالى ، ذهب لجمال فى مكان عمله ، وبعد أن جلس معه ، قال : أنا كنت سايب مع فريدة أمانة ، لو ممكن تكلمهالى تجيبها .

جمال : مفيش مانع ، ولّا أقولك أنا رايح عندها بعد الشغل تعالى معايا ، علشان تاخد أمانتك بنفسك .

آدم : مفيش داعى ، مش عايز أسبب لك أى إحراج .

جمال : مفيش إحراج ولا حاجة .

وبعد أن إنتهى جمال من عمله ، إصطحب آدم وذهبا لمنزل فريدة ، فرحبت بآدم وجلس ثلاثتهم فى غرفة الجلوس ، فقال جمال : الأستاذ آدم بيقول إن فيه أمانة كان سايبها معاكى .

فريدة : مظبوط ، لحظة واحدة هاجيبها .

ثم دخلت غرفتها وأحضرت المال فى كيسه ، كما أعطاه لها آدم من قبل .

فريدة : هى دى الأمانة بتاعتك ، زى ما إنت إديتهالى .

نظر آدم لفريدة متحسراً ، ولم يستطع أن يتمالك نفسه ، فبكى وأجهشت هى الأخرى بالبكاء .

صمت جمال أمام هذه اللحظة ، وعلم فى قرارة نفسه أن آدم وفريدة مازالا يحبان بعضهما البعض ، ودفعته شهامته أن يساعدهما على العودة لبعض مجدداً ، فقال : لو سمحت ياأستاذ آدم هأكلم فريدة كلمتين على إنفراد .

وأخذ فريدة ودخلا الغرفة المجاورة ، وقال : إنتى بتحبى آدم يافريدة وهو كمان بيحبك ، سامحيه وإرجعيله ، صدقينى ، حياتكم إنتوا الإتنين مش هتستقيم من

غير ما ترجعوا لبعض .

بكت فريدة بحرقة ، وقالت : أنا عمرى ما حبيت حد غيره ، وسامحته من يوم ما طلقنى ، مقدرش أنام ليلة وأنا زعلانة منه ، هو غلط فى حقى صحيح ، بس أنا عارفة إنه إنسان طيب ، وقبل ده كله هو حب حياتى ، سامحنى إنت ياجمال ، غصباً عنى اللى بيحصل ده .

جمال : يافريدة جوازنا من بعض كان هيبقى أكبر غلطة نرتكبها فى حقنا وإنتى بتحبيه بالشكل ده ، ربنا يوفقكم وتعيشوا حياة سعيدة .

ثم خرج جمال من الشقة ، وتركهما ، ودخلت فريدة على آدم فى غرفة الجلوس ، فقال آدم : هو جمال راح فين ؟.

فريدة : جمال فسخ الخطوبة ، بعد ما عرف إنى لسه بحبك .

آدم : هو إنتى لسه بتحبينى ؟!!!!.

هزت فريدة رأسها برقة ، وقالت : أيوه ياغبى ، لسه بحبك ، عمرى ماحبيت حد غيرك ، ولا هأقدر أحب حد غيرك .

قام آدم ، وأمسك بيدها وقبّلها ، وقبّل جبينها .

ثم خرجا من الشقة ، وذهبا للمعلم سالم ، فأعطاه آدم المال وأخذ إيصال الأمانة ، ثم سارا متجهين للمأذون ، حتى يتزوجا مجدداً ، وهما يمسكان بأيدى بعضهما البعض ، أمام أنظار المعلم سالم ، والذى كاد أن ينفجر غضباً .

إنه الحب ياسادة ، لن تستطيع أن تفسده خبائث الشياطين ، ولا أخطاء المحبين ، فعلاً .

إنه الحب .

آشماداي

عند منتصف الليل ، في أحد الأحياء الشعبية ، يسير سليم في الحارة عائداً من عمله ، فيجد أمامه البلطجى عطا .

فيقول عطا :- إنت جاى منين ياض ؟.

- جاى من شغلى يامعلم عطا .

- أنا نبهت كذا مرة على الكل ، مشوفش كلب في الحارة بعد نص الليل ، حصل ولا ما حصلش .

- حصل يامعلم ، بس على ما خلصت ورديتى في المصنع ورجعت .

فصفعه عطا على وجهه ، وصرخ قائلاً :- إنت بترد عليا ياروح أمك ، كلامى يمشى على كل اللى في الحارة ، كبير وصغير ، يلا غور في داهية ولو كررتها تانى هاشقك نصين وأخلى أمك تترحم عليك .

إنصرف سليم وعاد لبيته ، ودخل ليجد زوجته سمية تنتظره خائفة ، وقالت :- إيه اللى أخرك كده ياسليم ، إنت مش عارف عطا واللى ممكن يعمله ، أنا ميتة من الرعب من بعد ما الساعة عدت نص الليل .

- ماهو قابلنى .

- يالهوى ، عمل معاك حاجة ؟.

سليم بأسى :- ضربنى بالقلم على وشى ، وهددنى لو إتكررت هيموتنى .

ـ الحمد لله إنها جت على قد كده ، وغلاوتى عندك ياسليم ، وغلاوة إبننا اللى طلعنا بيه من الدنيا ، ما تتأخر تانى ، إحنا يا أخويا مش قده .

ـ لحد إمتى هنستحمله ، دا لازم له وقفة .

ـ مين بس اللى هيقف له ، أديك شايف اللى وقفوا له قبل كده ، عمل فيهم إيه ، موتهم ، ومخدش فيهم يوم واحد حبس ، ولو إتحبس مراته ألعن وأضل ، والنبى ياسليم خلينا ماشيين جنب الحيط ، ونربى إبننا ، قوم يلا أنا جهزت لك العشا .

وتناول سليم العشاء مع زوجته ، ودخل غرفة نومه وإستلقى نائماً .

ومرت الأيام والشهور ، وعطا مازال بجبروته ، وفى أحد الليالى إستيقظ سليم على صراخ إبنه .

ـ مالك ياحبيبى ؟.

ـ وجع في بطنى يابابا .

فقالت سمية :- أعمله حاجة دافية يشربها .

ـ إعملى .

أحضرت سمية كوباً من النعناع وأعطتها لإبنها ، ولكن الألم لم يهدأ ، فقال

سليم :- إحنا لازم ناخد الولد ونروح المستشفى .

ـ وعطا ياسليم .

ـ يعنى نسيب الولد يموت ؟.

ـ حكم القوى .

ـ أنا هاخده وأروح المستشفى واللى يحصل يحصل .

وحمل سليم ولده وخرج متجهاً للمستشفى ، وما أن خرج من بوابة البيت حتى قابله عطا ، فقال :- أنا مش قلت محدش يخرج بعد نص الليل .

ـ الواد تعبان يامعلم ، وأنا رايح بيه المستشفى .

ـ مفيش خروج يعنى مفيش خروج ، إرجع ياسليم أحسنلك .

فرجع سليم مضطراً ، ولكن لم تمر دقائق قليلة ، إلّا والألم يزداد بالطفل ، فحمله سليم مرة أخرى وخرج ، فقابله عطا ثانية :- إنت إيه ؟، حمار ما بتفهمش .

فصرخ سليم في وجهه :- إنت اللى معندكش رحمة الولد بيموت .

ـ ما يموت .

ـ أنا رايح بابنى المستشفى وآخرك هاته .

ـ إنت بتتحدانى ياض .

وإنهال عطا ضرباً في سليم ، وإبنه على يديه يصرخ من الألم والخوف ، حتى سقط الولد من يد أبيه ، وعطا يكيل اللكمات لسليم ، حتى إنهار من قوة الضرب ووقع على الأرض بجانب إبنه ، وسمية تصرخ من الشباك ، وتستغيث أن ينقذ أحد زوجها وإبنها .

فوضع عطا قدمه على رأس سليم الملقى على الأرض ومضرجاً بدمائه ، وصاح قائلا :- دا جزاء اللى ما يسمعش كلامى ، أما اللى يتحدانى بقى ده جزاءه .

وأخرج مطواته وذبح سليم ، وتركه يسلم الروح ، وأما الولد فقد إنفجرت الزائدة الدودية في بطنه ، ومات ولحق بوالده .

خرجت سمية من بيتها تصرخ باكية ، وإحتضنت زوجها وإبنها ، وهى تقول :- ربنا ينتقم منك ياعطا وأشوف فيك يوم .

ولم يستطع أحد من سكان الحارة أن يشهد ضد عطا ، حتى بعد أن قبضت عليه الشرطة على ذمة التحقيق ، كانت زوجته توحة تهدد أهالى الحارة بأن من يشهد ضد زوجها سوف تقتله هو وأسرته ، حتى أنهم منعوا سمية أن تتلقى العزاء في زوجها وإبنها .

***

سمية تجلس في شقتها ، وفى يدها كتاباً قديماً له غلاف من الجلد عليه آثار الزمن ، فتضع الكتاب على الطاولة ، وتنظر أمامها وتقول :- أنتقم ، عايزة

آخد تار جوزى وإبنى ، وبعد كده هأنفذ كل طلباتك .

***

ومرت الأيام ، وفى إحدى الليالى عاد عطا لمنزله ، ووجد توحة متزينة للقاءه ، فقال :- إحنا ليلتنا بيضة ولّا إيه ؟.

ضحكت توحة وقالت :- ليلة قشطة .

ودخلا غرفة النوم ، وداعبها عطا ، وأغمضت توحة عيناها من النشوة ، ثم فتحت عيناها ، وصرخت فجأة في رعب ودفعت عطا عنها .

- فيه إيه ياتوحة ؟!، مالك يابت ؟!!!.

- لما فتحت عينى شفت سليم ، هو اللى .. ، اتخضيت .

- سليم مات ، وأنا قتلته قدام عينك ولّا نسيتى .

- آه .

- طيب هنكمل ولّا إيه ؟.

- هنكمل ، تعالى .

وفتحت ذراعيها وأخذته في أحضانها ومارسا الحب .

وفى الصباح التالى ، إستيقظت توحة وقد غادر عطا لبعض أعماله ، ودخلت

الحمام لتستحم ، وبعد أن خلعت ملابسها ، ووقفت تحت الدش تغيرت المياه إلى دماء ، فأصابها الرعب من منظر الدماء ، وإشتعلت النيران في الحمام ، فخرجت عارية من الحمام وهى مرعوبة ، حتى أصبحت في وسط الحارة ،

كما ولدتها أمها وهى تصرخ :- حريقة ، حريقة .

فاندفع أهالى الحارة نحوها ، وسترتها إحدى نساء الحارة ببعض الملابس ، ودخل بعض رجال الحارة للمنزل ليطفئوا الحريق ، ولكن لم يكن هناك أثراً لحريق ولا دماء ، وعادوا للحارة ، وقال أحدهم :- مفيش حريقة ولا حاجة ياست توحة .

- إزاى دا النار كانت مولعة في الحمام .

ودخلت توحة منزلها ، وعاد عطا مسرعاً بعد أن علم بما حدث ، ووجد توحة تجلس في الصالة ترتعد وقد شحب وجهها ، وقال :- إيه اللى حصل ياتوحة ؟.

- بعد ما صحيت من النوم ، دخلت الحمام أستحمى ، لقيت الدش بينزل دم ، فقفلت الحنفية ، قامت النار طالعة من كل حتة في الحمام ، أنا خايفة ياعطا ، دا عفريت سليم .

- عفريت إيه يابت ، ما عفريت إلّا بنى آدم .

وقام ودخل الحمام ، ولا أثر لدماء أو حتى علامات حريق .

- الحمام مفيهوش حاجة ، هي سيجارة البانجو اللى شربناها إمبارح اللى عملت

فيكى كده ، دماغك خفيفة .

وضحك وضحكت توحة .

وبعد يومين ، إستيقظ عطا من نومه على صوت حركة في الشقة ، فخرج من غرفة النوم فرأى خيالاً يمر أمامه ، فصرخ رعباً ، وإستيقظت توحة على صوته ، وقالت :- مالك ياعطا ؟!.

ـ سمعت صوت في الشقة ، قمت أشوفه إيه ، لقيت خيال عدى من قدامى .

وبحثا في أرجاء الشقة ، فلم يجدا شيئاً وعادا لنومهما .

بعد عدة أيام ، وأثناء تناول عطا وتوحة لطعام الغذاء ، سمعا صراخ إبنهما ، فهرولا نحوه ليجدا الولد يجلس مذهولاً على السرير وينظر للحائط ويصرخ ، فنظرا نحو الحائط ولم يريا شيئاً ، فسأل عطا إبنه :- مالك يابنى فيك إيه ؟!.

فأشار الولد بسبابته نحو الحائط ، وقال :- سليم وإبنه .

ثم دخل الولد في نوبة من التشنجات وفقد وعيه ، فحمله عطا وتوجه به نحو الطبيب الذى فحص الولد ، وقال أنه أصيب بصدمة عصبية نتيجة خوفه من شيء ما ، ونصحهم بتوفير جو مريح للولد .

وتكررت نوبات الرعب للولد ، وفقد القدرة على الكلام ، وكلما تصيبه النوبة يشير نحو الحائط في غرفته .

وفى أحد الليالى ، وبينما عطا وتوحة جالسان في الصالة يشاهدا التلفاز ، وإذا بباب غرفة الولد يفتح من تلقاء نفسه ، وإبنهم يخرج من الغرفة يزحف على

بطنه ويداه مرفوعتان كأن أحداً يسحبه ، فصرخا من الرعب وذهبا نحو الولد ولكن شيئاً ما دفعهم وألقاهم أرضاً ، فأمسك عطا بقدميّ إبنه ، ولكن الولد ظلّ

يُسحب ، حتى وصل للبلكونة ، ورُفع في الهواء وأُلقى به من البلكونة ، ووقع في الحارة ميتاً ، مع صراخ عطا وتوحة .

مر شهرين ، وأحست توحة بعلامات الحمل ، وذهبت لطبيب النساء الذى أكد حملها ، ومرت شهور الحمل حتى إقتربت ولادتها ، فذهبت للطبيب للمتابعة وتحديد ميعاد الولادة ومعها عطا .

فحصها الطبيب بالسونار ، وقد ظهرت على وجهه علامات الدهشة ، فقال عطا :- فيه إيه يادكتور ؟!.

- حاجة غريبة ، أول مرة أشوفها ، مفيش جنين في الرحم ، مع إن نبضه مسموع .

- يعنى إيه ؟!، أومال بطنها المنفوخة دى إيه ؟!، إتأكد يادكتور .

فحصها الطبيب ثانية ، وقال :- إحنا نعملها إختبار حمل .

وظهرت نتيجة إختبار الحمل إيجابية ، فقال الطبيب :- تقريبا السونار عندى

عطلان ، عموماً أنا هأولدها الأسبوع الجاى زى النهاردة .

وخرج عطا مع زوجته من عيادة الطبيب ، الذى فحص بعض مرضاه من النساء ليجد السونار يعمل كما ينبغي ، ثم إتصل بمهندس الصيانة ، الذى أتى وفحص الجهاز جيداً ، وأخبر الطبيب بأن الجهاز سليم تماماً ، وسط ذهول الطبيب .

مر الأسبوع وأتى يوم الولادة المنتظر ، وذهبت توحة مع زوجها للمستشفى ودخلت توحة لغرفة الولادة ، وهى تصرخ من آلام الطلق ، والطبيب ينتظر الجنين ليسحبه ، وجحظت عيناه من الدهشة ، فبدلاً من نزول الجنين نزلت كتلة كبيرة من الدم المتجلط ، وهى تنبض ، وعليها رسم لوجهى رجل وطفل والطبيب يحوقل :- لا حول ولا قوة إلّا بالله .

أما توحة ، فإرتسمت على وجهها علامات الرعب وهى تنظر أمامها وتقول :- أنا ماليش ذنب ، عطا هو السبب ، أنا ماليش ذنب .

وشهقت شهقة قوية وماتت ، ومازالت علامات الفزع على ملامح وجهها بعد الموت .

وعاد عطا لمنزله بعد أن دفن زوجته وفتح باب الشقة ، ليجدها مليئة بالغربان وفى وسطها طيفاً لسليم وإبنه ، وما أن رأته حتى بدأت بالنعيق وهجمت عليه

، تنقره بمناقيرها في كل جزء من جسمه حتى فقأت عينيه ، وخرج هارباً من الشقة يتحسس طريقه ، والدماء تسيل من عينيه ومن جسده حتى وصل لوسط الحارة ، في نفس المكان الذى قتل فيه سليم ، وأعين أهل الحارة تنظر إليه في ذهول ، وهو يصرخ :- إرحمنى ، إرحمنى .

والناس تنظر إليه ولا يرون مع من يتحدث ، وفى لحظات الألم والذهول والخوف تلك ، أخرج عطا مطواته من جيبه ، وذبح نفسه وإستمر يحز رقبته بالمطواة ، وكأن أحداً يمسك بيده ويذبحه ، حتى خر على ركبتيه والدماء تخرج من رقبته كالنوافير ، وسط صراخ جميع الأهالى .

في شقة سليم تجلس سمية على الأريكة ، وأمامها الكتاب القديم ، مستمتعة بصراخ أهل الحارة ، وهم يصيحون ، عطا قتل نفسه .

وفُتِح باب الشقة بعنف من تلقاء نفسه ، وهبت ريح قوية منه كأنها عاصفة ، لتجد سمية أمامها شخصاً في صورة سليم ، وهو صامت ، فتقف وتقول :- وفيت بوعدك معايا ، وأخدت بتارى ، وأنا كمان هأوفى بوعدى معاك .

ثم مشت تتمختر نحو غرفة النوم ، ودخلت وتركت الباب مفتوحاً ، وخلعت جميع ملابسها ، ثم إستدارت ونظرت إليه ، وقالت :- تعالى ياسليم أنا ملكك الليلة .

ومدت ذراعيها نحوه ، فتقدم نحوها وإحتضنها ، وقد إحمرت عيناه كأنها النار

وتغير شكله وأصبح قبيحاً له جسد حيوان وثلاثة رؤوس ، رأس خروف ورأس بقرة ورأس إنسان تنفث لهباً ، وصاح بصوتٍ غليظ ، دوى صداه في أرجاء الغرفة :- أنا إسمى آشماداي ، ملك الجن وإبن إبليس .

المعاش

فتح يونس الدولاب ، وأخرج بدلته السوداء ليرتديها ، ويحضر بها حفل زفاف إبنة صديقه مصطفى .

ولكنه لم يعثر على الكرافت النبيتى ، وزوجته فادية ليست بالمنزل لتخبره أين يجدها .

وبعد بعثرة فى محتويات الدولاب وجد الكرافت ، ولكنه عثر أيضاً على شئٍ آخر .

إنها ورقة ، إعلام من المحكمة مُرسَل إليه ، بتاريخ قديم ، من سبع سنوات .

قرأ يونس الورقة وذُهل مما فيها ، وطبقها ووضعها فى محفظته ، وأكمل لبسه وخرج ليحضر الزفاف .

في حفل الزفاف لاحظ مصطفى أن يونس يبدو مهموماً ، فجلس بجانبه وقال له :ـ مالك يايونس ، شكلك متغير ليه .

ـ مفيش حاجة .

ـ يابنى عليا ، دا أنا حافظك ، مالك ؟ ، أقولك ، أخلص فرح البنت ونقعد مع بعض وتحكيلى مالك .

وبعد انتهاء الزفاف جلس يونس مع صديقه في أحد الكافيهات ، وقال مصطفى

:- قولى بقى مالك .

فأخرج يونس الورقة من جيبه وأعطاها لمصطفى ، أمسك مصطفى الورقة وقرأ ما فيها ، وتعجب ، وقال :- ياخبر ، إيه ده ؟ ، اللى في الورقة دا حقيقى يايونس ؟!!.

ـ دا إعلام رسمي من المحكمة زى ما إنت شايف .

ـ فادية إزاى تعمل كده ، ترفع عليك قضية خُلع ، بعد العشرة الطويلة دى ، والعيال اللى بينكم ، دا عيالكم كبروا وقربوا يتجوزوا ، وطول عمركم كويسين مع بعض ، إيه اللى حصل بس ؟! ، وازاى هي تعمل كدة ؟.

ـ إنت أخدت بالك من التاريخ .

نظر مصطفى في الورقة مرة أخرى ، وقال :- دا من عشر سنين .

ـ أيوه .

ـ ما تكونش زعلتها في الوقت ده ، وإنت عارف الستات مجانين ، وعملت ده وبعدين رجعت لعقلها .

ـ لا عمرى ما زعلتها لدرجة إنها تفكر تعمل كده ، أنا هأتجنن ، ومش عارف أعمل إيه ؟.

ـ إنت صارحتها وسألتها .

ـ أنا لسه شايف الورقة قبل ما آجى فرح بنتك ، لقيتها في الدولاب وأنا بأدور على الكرافت .

ـ طيب شوف ، أنا ابن خالتى محامى بكرة الصبح هأكلمه وأديله الورقة دى يكشف عنها في المحكمة ، ونعرف أصل الحكاية إيه ، وإنت ما تتكلمش مع فادية في حاجة لحد ما نعرف الموضوع كله ، واتعامل عادى في بيتك كأنك ما تعرفش حاجة .

ـ ماشى .

عاد يونس لمنزله وكأن شيئاً لم يكن ، وفى عصر اليوم التالى إتصل به مصطفى ، واتفقا على اللقاء في أحد المقاهى بعد صلاة العشاء .

ذهب يونس للمقهى ، وطلب فنجان من القهوة ، وما أن أخذ رشفة من القهوة ، حتى لمح مصطفى قادماً نحوه وهو متجهم الوجه .

سحب مصطفى أحد الكراسى وجلس عليه .

ـ فيه إيه يامصطفى ، إنت عرفت إيه عن الموضوع بتاعى ؟.

ـ ابن خالتى كشف عن القضية ، فادية رفعت القضية من عشر سنين فعلاً ، وكسبتها ، وهى مش على ذمتك من وقتها .

ـ ازاى كده ، أنا ما استلمتش الإعلام بتاع القضية .

ـ المُحضر كان بييجى على بيتك ، وهى بتستلم إعلام القضية مكانك ، وبما

إنك مكنتش بتحضر الجلسات لا إنت ولا محامى تبعك ، المحكمة حكمت لها بالخلع .

ـ بقالها عشر سنين مش على ذمتى ، وعايشة معايا ، دا أنا كنت بأعاشرها معاشرة الأزواج ، وبنتنا الصغيرة عمرها ست سنين ، جت من حرام ، وعيشتى معاها كلها حرام فى حرام .

ـ إهدى يايونس .

ـ أهدى إزاى ، دا أنا هأتجنن ، ليه تعمل فيا كده ؟.

ـ لازم تهدى ، علشان نعرف الحقيقة .

ـ هو بعد اللى حصل ده فيه حاجة في الدنيا إسمها حقيقة ، أنا خلاص مش عارف حق من باطل .

ـ إحنا نروح عندك البيت ونقعد معاها ونعرف كل حاجة .

ـ لا ، أنا اللى هاروح لوحدى .

ـ ياصاحبى لازم أكون معاك ، إنت مش فى حالتك الطبيعية وأخاف تتهور وتعمل فيها حاجة .

ـ لا ما تخافش ، بعد اللى عملته ما تستاهلش اضيع نفسى بسببها ، أنا عايز بس أفهم ، وبعد كده هي معدتش تلزمنى .

قام يونس وعاد لمنزله ، واستقبلته فادية بابتسامتها المعهودة والتي تعودت أن تقابله بها دوماً .

دخل يونس لغرفة النوم وخلفه فادية وجلس على كرسى التسريحة ، ووقفت فادية أمامه ، وقالت :- مالك يايونس ؟.

نظر لها يونس بصمت ، وأخرج الورقة من جيبه وأعطاها لها .

نظرت فادية للورقة وقد عرفتها ، وتمنت لو أن الأرض تبتلعها ، ولم تستطع قدماها أن تحملها ، فجلست على طرف السرير .

مرت عليها لحظات من الصمت ، وقلبها يكاد يتوقف من نظرات يونس لها ، خاصةً أنه لم ينطق بكلمة .

إستجمعت فادية قواها ، أو هكذا أقنعت نفسها ، ثم قالت :- إنت أخدت بالك من تاريخ الإعلام ؟.

ـ آه ، من عشر سنين .

ثم إستطرد بعصبية :- فى حرام .

ـ إنت فاكر إيه حصل من عشر سنين .

ـ لا مش فاكر ، فكرينى .

ـ بابا مات من عشر سنين .

ـ وإيه علاقة موت أبوكى باللى حصل ده ؟.

ـ هأقولك .

إبتلعت فادية المتبقى من ريقها بعد أن جف حلقها ، وقالت :- إنت عارف إن ماما ماتت قبل بابا بسنتين ، ولما مات الله يرحمه معاشه اتوقف ، ففكرت إن إحنا أولَى بالمعاش ده ، رفعت قضية خلع ، ولما كان المحضر بييجى هنا كنت أنا اللى بأقابله وإنت في شغلك ، لحد ما المحكمة حكمت بالخلع لأنك محضرتش ولا جلسة .

ضحك يونس ضحكة حزينة وقال :- إحنا أولى بالمعاش ، قبلتى على نفسك مال حرام ، وعشرة حرام .

ـ الفلوس دى حقى .

ـ حقك ؟!!! ، إنتى لسه بتقاوحى ، لا يامدام ، دا مال حرام ، وبنتك الصغيرة جت في الحرام .

ـ أنا مراتك قدام ربنا وقدام الناس .

ـ مراتى ازاى وانتى خلعتينى بحكم قاضى ، هانت عليكى كل حاجة ، حبنا وبيتنا وعشرتنا الطويلة ، علشان إيه ألف جنيه ولّا ألفين ولّا حتى عشرة ، فلوس الدنيا كلها عمرها ما تكون تمن لده كله .

ـ أنا عملت كده علشان بيتنا وولادنا .

- وقبلتى إزاى تسيبى لولادك فلوس حرام ، مش فارقة دا إنتى عاشرتينى في الحرام ، أنا معدش ليا مكان في البيت ده .

وأخرج ورقة من جيبه وأعطاها لها ، وقال :- أنا كنت كتبت الشقة بيع وشِرا بإسمك بعد وفاة والدك من عشر سنين ، إتفضلى دا العقد ، وأنا أول كل شهر هآجى علشان أشوف الأولاد وأسيبلك مصاريفهم .

بكت فادية بحرقة :- هتسيبنى ؟.

- إنتى اللى سبتينى .

ثم قام يونس بحزم ملابسه في حقيبة ، وفادية تتوسل إليه ألا يرحل ، حتى إنتهى وأغلق الحقيبة وخرج متوجها نحو باب الشقة ، ودمعات فادية وتوسلاتها من خلفه .

فالتفت إليها باكياً ، وقال :- مبروك عليكى المعاش يا أم عيالى .

عفريت مصباح

مصباح ، شاب وحيد ، مقطوع من شجرة ، يعمل عامل نظافة بأحد الشركات الصغيرة ، ويتقاضى راتب ضئيل ، بالكاد يكفى طعامه ، وإيجار الغرفة التى يؤجرها فوق سطوح إحدى العمارات القديمة .

وذات يوم ، بعد أن عاد من عمله ، إنقطعت الكهرباء عن غرفته ، وبعد دقائق قليلة جاءه مالك العمارة وطرق الباب .

مصباح : مين ؟.

ـ أنا منير صاحب البيت .

فتح مصباح الباب ، وفوجئ بأن كل أنوار العمارة مضاءة إلا غرفته ، فقال :ـ إتفضل ياأستاذ منير ، خير !!.

ـ أنا قطعت الكهربا عن أوضتك .

ـ وليه كده ؟!!!.

ـ علشان إنت مش بتدفع فى فاتورة الكهربا بتاعت العمارة .

ـ ما أنا بادفع لحضرتك الإيجار كل شهر .

ـ آه ، لكن الكهربا لا ، وفواتير الكهربا بقت غالية ، نااار ، ومن الآخر هتدفع

هأوصلك النور تانى ، ما دفعتش ، مفيش نور .

ثم ترك مصباح وانصرف ، ودخل مصباح غرفته وأغلق عليه بابه ، وجلس فى الظلام .

بعد قليل ، طرق الباب ثانيةً ، ففتح مصباح الباب ، ووجد أمامه زميله فى العمل طارق ، قد أتى لزيارته .

ـ إيه يابنى ، قاعد فى الضلمة ليه ؟.

ـ النور قطع .

ـ نور إيه اللى قاطع ، دا العمارة كلها منورة .

ـ صاحب البيت قطع عنى النور علشان ما بدفعش فى فاتورة الكهربا .

ـ ولا يهمك ، أنا عندى لمبة جاز قديمة ، بتاعت أبويا ، هأجيبهالك ، وإنت كده كده معندكش لا تلفزيون ولا غيره ، مش محتاج أكتر من النور .

ثم خرج طارق ، وذهب لبيته القريب من سكن مصباح ، وأحضر اللمبة ، وأعطاها لمصباح .

فقال مصباح : اللمبة دى شكلها غريب كده ليه ؟!.

ـ أيوه ، لمبة نحاس قديمة من أيام جدى ، بس حلوة ، إنت بعود كبريت تولع الفتيلة تنورلك الأوضة ، بس هى عايزة شوية نضافة ، نص لمونة هتلاقيها

بتلمع .

ثم إنصرف طارق ، وفتح مصباح باب غرفته ، وجلس يلمع اللمبة فى ضوء سلم العمارة الخافت .

وفجأة ، هبت رياح قوية كأنها عاصفة ، فتحت نافذة الغرفة ، وبعثرت محتوياتها ، ثم خرج من اللمبة شعاع من النور يصحبه دخان كثيف .

خرج من اللمبة عفريت ضخم ، فألقاها مصباح ، وهمّ هارباً ، لكن العفريت أغلق باب الغرفة دون أن يلمسه ، وقال :ـ ما تخافش يامصباح ، أنا مش هأذيك ، أنا عفريت اللمبة وإنت دعكتها ، وبكده ليك عندى تلت أمنيات أحققهالك ، تطلب إيه ؟.

ـ أنا عمرى ما كان عندى أمنيات .

ـ هو فيه حد يابنى معندهوش أمنيات ؟!!.

ـ أنا ، طول عمرى ، وماشى جنب الحيط ويمكن كمان جوه الحيط .

ـ طيب ياسيدى ، أنا ظهرتلك أهه ، إتمنى .

ـ مفيش فى نفسى حاجة .

ـ يابنى ما تغلبنيش ، أنا خلقى ضيق .

ـ طيب إدينى فرصة أفكر .

ـ إتفضل .

وجلس العفريت على الأرض ، ووضع يده على خده وهوينظر لمصباح ، الذى يمشى فى الغرفة جيئة وذهاباً .

وبعد مرور عدة ساعات ، على هذا الحال ، صاح العفريت :ـ ما تخلص بقى ، النهار قرب يطلع .

ـ خلاص ، أنا عايز الصحة .

العفريت بغضب : صحة إيه ؟!!! ، يابنى الصحة دى بإيد ربنا ، وبعدين ما إنت زى البغل أهه , صحة إيه اللى عايزها ؟.

ـ طيب ، أقولك ، أنا عايز أعيش بكرامة ، مش عايز أتهان .

ـ مش إنت مصرى ؟.

ـ أباً عن جِد .

ـ تبقى عارف إن الإهانة شئ عادى عند المصريين ، إيه الجديد بقى ، وإنت لو مكنتش مصرى كنت قلت ماشى ، يابنى ما تدخلناش فى السياسة ، الله يخرب بيتك هتودينا فى داهية .

ـ يبقى اتمنى تشغلنى فى وظيفة كبيرة .

ـ وظيفة !!!! ، إذا كنت أنا أساساً عاطل ، كنت نفعت نفسى ، شوفلك أمنية

تانية ، وخلصنى بقى .

ـ طيب ، إدفع فاتورة الكهربا ، علشان صاحب العمارة يرجعلى النور .

ـ هو حد قالك إنى محافظ البنك المركزى ولّا رجل أعمال ، فواتير الكهربا بقت نار ، وأنا عفريت من محدودى الدخل .

ـ أنا زهقت ، شوف إنت بقى تقدر تعمل إيه .

ثم همهم مصباح : إيه النحس ده ، عفريت من محدودى الدخل ؟!! ، هو أنا طلعلى عفريت من كينيا .

العفريت : بتقول إيه ؟.

ـ ما قلتش ، شوف حضرتك عايز تعمل إيه .

ـ إيه رأيك ؟ ، أفسحك فى حديقة الفسطاط ، وأغديك غدوة حلوة ، وأشربك سطل خروب ، ويبقى دول الأمنيات بتاعتك واتكل أنا .

مصباح متعجباً : الفسطاط ؟!!! ، سطل خروب ؟!!! ، هو إنت منين ؟.

ـ من الدويقة ، ليه ؟.

ـ مفيش ، يلا بينا .

وخرجا وذهبا لحديقة الفسطاط ، وعزم العفريت مصباح على الغذاء على عربية فول ، وبعدها سقاه سطل الخروب .

وبعد غروب الشمس ، عادا لغرفة مصباح ، وقال العفريت :ـ خد يامصباح ، أنا هأسيبلك اللمبة تنور بيها الأوضة ، لحد ما تدفع فاتورة الكهربا والنور يرجع .

ـ بس دى فاضية ، مفيهاش جاز ، إملاها بقى .

العفريت بعصبية : إنت عارف لتر الجاز بقى بكام ، إملاها إنت ولّا اخدها معايا ، وخليك قاعد فى الضلمة .

ـ خلاص ياعم ، سيبها وكتر خيرك .

خرج العفريت من الغرفة ، وهو يضرب كفاً بكف ، ويتمتم :ـ لا حول ولا قوة إلا بالله ، دا مفكرنى عفريت من التجمع الخامس ولا الشيخ زايد ، أستغفر الله العظيم يارب .

الغلبان

فى إحدى شركات السياحة بالقاهرة ، يدخل صابر ، سائق الشركة ، مكتب المدير :- صباح الخير يا أيمن بيه .

ـ صباح النور ياعم صابر ، خير .

ـ فيه شاب جارى ، دماغه على قده ، لو ممكن نشوف له شغلانة هنا في الشركة

بتقول دماغه على قده ، معاق ذهنياً يعنى ؟.

ـ يعنى شوية ، بس هو واد غلبان ، وإخواته طردوه من بيت أهله ، تصدق يابيه راحوا حطوله تلاتين الف جنيه في البنك وقالوله دا نصيبك في الورث ، وطردوه ، والله يابيه ظروفه وحشة ، أنا سكنته في أوضة على السطح .

ـ وده هنشغله إيه هنا ؟.

ـ يشتغل ساعى في الأوفيس ، وأهو نكسب فيه ثواب .

ـ ماشى ياعم صابر ، إسمه إيه ؟.

ـ محمود .

ـ هاته بكرة ، وخليه يجيب بطاقته .

ـ ألف شكر يا أيمن بيه ، ربنا يجزيك خير .

وفى اليوم التالى ، أحضر عم صابر محمود لمقر الشركة ، ودخل على أيمن مكتبه ، وقال :- هو دا محمود اللى كلمتك عنه إمبارح ، يا أيمن بيه .

- ماشى ياعم صابر ، خد بطاقته واديها لشئون العاملين ياخدوا صورة منها ، وخليه يستلم شغله في الأوفيس .

- ربنا يكرمك يا أيمن بيه .

وإستلم محمود عمله في الأوفيس ، وعلم كل موظفي الشركة بظروفه ، وعطفوا عليه ، وخاصة مي موظفة حجز تذاكر الطيران .

ومرت الشهور ، ومحمود يزداد تعلقاً بها ، في الصباح ينتظر بجوار موظفي الأمن حتى تأتى ، وما أن تدخل الشركة ، يسرع خلفها ليلبى كل طلباتها ، ولا يتأخر عن شيء تريده ، ومن ناحيتها كانت تحنو عليه ، ومن وقت لآخر تحضر له شيئاً ، كبعض الملابس .

ولاحظ سعد موظف الأمن ذلك ، وفى صباح أحد الأيام بعد أن حضرت مي لمقر الشركة ، قال لمحمود :- إيه يامحمود إنت بتحب الأستاذة مي ؟.

- أوى .

- وهى كمان بتحبك .

- بجد ؟!!!.

- آه يابنى ، إنت مش واخد بالك من ، مرة تشتريلك قميص ، ومرة بنطلون ،

وحاجات تانية ، نفسك تتجوزها .

ـ آه ، بس مكسوف أكلمها .

ـ أنا هأكلمها ، بس تجيبلها هدية إنت كمان .

ـ أنا مش بأعرف أشترى هدية .

ـ ولا يهمك ، هات متين جنيه ، وأنا أشتريلها هدية حلوة ، وأقولها محمود اللى جابها .

فأعطاه محمود المال ، وتكرر الموقف من سعد ، يأخذ من محمود المال ويوهمه أنه يشترى هدايا لمي ، خاصةً بعد أن علم بمبلغ الثلاثين ألف جنيه المودعين في البنك .

أما مى فما زالت تعطف عليه ، وكلما تعطف يزداد عطفها على محمود ، يعتقد أنه حباً .

وفى أحد الأيام ، قال سعد لمحمود :- مي بتقول هو محمود مش هيخطبنى رسمي بقى ، ويجيبلى شبكة ، معاك فلوس ؟.

ـ آه ، تلاتين ألف جنيه في البنك .

ـ معقول ، يدوب يجيبوا الشبكة ، بكرة الصبح تروح البنك وتجيبهم ، علشان أروح أشتريلك الشبكة وتقدمها ليها .

وفى مساء ذلك اليوم أخبر محمود عم صابر بحبه لمي ، وأنه يريد أن يتزوجها ، وأنه يعطى مالاً لسعد ليشترى لها هدايا ، وأنه من الغد سيذهب للبنك ليسحب المال ليشترى لها الشبكة ، فقال صابر :- دا بينصب عليك يابنى ، يامحمود إنت فين وهى فين ، ياحبيبى إنت على قد حالك ، لا معاك شهادة زيها ولا هتقدر تشتريلها شقة ولا عفش .

- أنا بحبها ياعم صابر ، وبكرة هاجيب الفلوس من البنك وأشتريلها الشبكة .

صمت صابر للحظات ، وقال :- طيب بأقولك إيه ، ما تسحبش الفلوس بكرة ، وأنا هأتكلم معاها هأشوفها عايزة شبكة بكام ، وآجى أقولك ، ونروح مع بعض نشتريها ، ماشى يامحمود .

- ماشى ياعم صابر .

وفى صباح اليوم التالى ، ذهب عم صابر لمكتب المدير .

- صباح الخير يا أيمن بيه .

- صباح الخير ياعم صابر ، خير .

- موضوع يخص محمود .

وحكى لأيمن الموضوع برمته ، فقال أيمن :- ومي ليها علاقة بالموضوع ده من بعيد أو من قريب .

- لا يابيه ، هي كتر خيرها بتعطف عليه من باب الشفقة ، بتجيبله لبس وتديله

فلوس ، بس محمود زى ما إنت عارف دماغه على قده ، وسعد إستغل الفرصة وبينصب عليه ، ودلوقتى لو سكتنا عليه ، هياخد منه الفلوس اللى حيلته في البنك .

- طيب ، شوف ياعم صابر ، خلى الموضوع ده بينا ، مش عايز حد في الشركة يعرف بيه ، وخصوصاً مي ، مش عايزين نسبب ليها إحراج .

- طبعاً يا أيمن بيه .

- روح هات سعد وتعالى معاه لوحدكم .

وذهب عم صابر لسعد وأحضره لمكتب أيمن ، فقال أيمن :- إدخلوا ، وإقفل الباب ياعم صابر .

ثم وقف ، وقال :- إيه ياسعد إنت هنا موظف أمن ولّا نصاب ، بتنصب على الواد الغلبان ، ليه تستغله وإنت عارف معاق ذهنياً .

- أنا ما عملتش حاجة يا أيمن بيه .

- سيبك من الكلام ده ، من الآخر أخدت من محمود فلوس قد إيه ، أنا عرفت كل حاجة .

نظر سعد للأرض ، وقال :- ألفين جنيه .

تمام ، من دلوقتى ملكش شغل في الشركة ، ياعم صابر تاخده في إيدك وتروح شئون العاملين ، يشوفوا مستحقاته ، ويتخصم منهم الألفين جنيه فلوس محمود

، ولو مستحقاته أقل من المبلغ ، يمضوه على شيك بالمبلغ ، ودا قرار فصله من الشركة .

وأعطى عم صابر ورقة بها قرار الفصل ، فقال سعد :- سماح يا أيمن بيه ، ومش هأعمل كده تانى .

ـ خلاص يابنى ، الموضوع منتهى ، إتفضل بره .

وتم فصل سعد من الشركة ، وإستعاد عم صابر فلوس محمود ، وذهب للبنك وأودعها في حسابه .

وظل محمود كما هو مع مي ، فهو مازال يحبها ، رغم أنه علم أن سعد كان يستغله ليستولى على ماله .

ومرت الأيام ، حتى أتت مي إلى الشركة وبيدها كروت الدعوة لزفافها ، وأعطت محمود كارت ، وقالت :- دا كارت فرحى يا محمود ، لازم تيجى .

وتركته لتدعو بقية زملاءها .

أمسك محمود بالكارت ، وإنهمرت دموعه ، فرآه عم صابر ، وربت على كتفه ، وقال :- مش قلتلك يامحمود ، يابنى إنت من دنيا وهى من دنيا تانية خالص ، بتحبها يامحمود ؟.

هز محمود رأسه في صمت ، فقال عم صابر :- يبقى تفرح علشانها وتتمنالها الخير ، إدعيلها ربنا يوفقها وتعيش سعيدة ، الحب يابنى للى زينا بيبقى في

الأحلام بس .

ـ يارب ياعم صابر تعيش مبسوطة على طول .

ـ يارب يابنى ، تروح تلبس وتتشيك بقى ، وهافوت عليك بالليل نروح الفرح ونباركلها .

وفى الليل ذهب عم صابر ومعه محمود لقاعة الأفراح ، وتوجها نحو العروس ليسلما ويباركا لها ، فقالت مي لعريسها :- دا محمود زميلى في الشغل ، أطيب قلب وأحسن راجل في الدنيا .

فابتسم محمود سعيداً بإطراءها فيه .

ثم نظرت لعم صابر ، وإبتسمت إبتسامة فهم معناها ، فقد علمت مي منه بأمر محمود .

ووقف محمود وعم صابر بجوارها وجوار عريسها ، وإلتقط المصور صورة لهم مع بعض ، ورفع محمود يده للسماء ، وقال بصوت عالٍ :- ربنا يسعدك على طول يا أستاذة مي .

وسط ضحكات المدعوين وهم يرددون وراءه :- آمين .

كلب الباشا

كلــب الباشـــا ، طــايح جــامح فــى البلـــد

عض وهــوهــوة ، ولا قـــادر عليــه أحـــد

شاف عيال ، جِرِى وراهم وعض منهم ولد

راحــوا لقصــر الباشـــا ، ما هوَ ليـــهم سنـد

نـهرهــم ، وقالــهم ، ميـن فيكــم أبـو الـولد

وقالــه ميـن اللــى عض ، الكلــب ولّا الولــد

خـاف الاب ، من كرباج الباشـــا ، لـو جَـلد

قاله ابنى هو اللى عض الكلب ، وما كسـد

قال الباشا ، حق كلبى مية من الفلوس عدد

تدفعـهم حــالاً ، واعتذار للكـلب مـن الــولد

دفـع الاب الفلــوس ، ولا اعترض ولا نَقَـد

ومرت الايام ، والكلب طبعه هو هو ما فقد

كـل يــوم فــى زيـــادة ، ومــا هِـدِى ولا همد

مات الكلب ، وقلـب الباشـا عليـه فى كمد

عمله سـرادق كبير ، لعزيزٍ على قلبه فقد

واجــب نـروح نعـزى ، قـال شيـخ البلــد

هزوا روسهم ، وقالوا واجـب ، اهل البلد

راحــوا عـزوا ، وأظهـروا للباشـــا المـدد

وبعـد يـوم ، مات الباشـا ، ولا ساب ولـد

قالــوا كلـب ومات ، وما عزّى فيـه أحـد

ملكة البيت

رن جرس الباب ، وقامت هدى لتفتح ، فوجدت أخيها كامل .

ـ السلام عليكم ياهدى .

ـ وعليكم السلام ، اتفضل ياكامل .

ثم جلس كامل ، وقامت هدى بإعداد الشاى ، وقدمته لأخيها ، ثم قالت :ـ مالك ياأخويا ؟ ، وشك متغير .

ـ مريم بنتى زعلانة مع جوزها ، وجت عندى البيت امبارح ، وعايزة تتطلق ، ومش عارف اعمل ايه ؟.

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله ، طيب وجوزها كلمك .

ـ آه كلمنى ، بس هى مصممة على الطلاق .

ـ طيب خليها تجيلى بكرة ، أتكلم معاها ، وأعرف مشكلتها إيه .

ـ إن شاء الله ، هأقوم أنا وهأبقى أبعتهالك بكرة .

وفى اليوم التالى جاءت مريم إلى عمتها .

هدى : إيه يامريم ، احكيلى بقى إيه مشكلتك مع جوزك .

ـ زهقت ياعمتو من عيشتى معاه ، مضيّق عليا فى الخروج ، وبيغير غيرة

شديدة ، خنقنى .

ـ هو مقصر معاكى فى حاجة ، فى مسئوليات البيت ، المصاريف وغيره .

ـ بصراحة لا ، كل اللى باطلبه بيجيبه ، بس أنا عايزة أخرج براحتى وأرجع براحتى ، وأعيش حياتى .

ـ تعيشى حياتك إزاى ؟ ، هو إنتوا مش بتخرجوا مع بعض تتفسحوا أو تشتروا حاجة .

ـ بنخرج كتير ، بس أنا أوقات ببقى عايزة أخرج مع أصحابى براحتى ، وإذا خرجت يقوللى هترجعى الساعة كام ، ولو إتأخرت يعمل مشكلة ، آخر مرة رحت أزور واحدة صاحبتى ، ورجعت الساعة واحدة بالليل ، اتخانق معايا وعمل مشكلة ، علشان كده سبت له البيت ورحت عند بابا .

ـ وينفع تتأخرى كده يامريم .

ـ وفيها إيه ياعمتو ؟ ، الناس كلها فى الشارع ، عادى يعنى ، هى جت عليا .

ـ وهو مجاش ياخدك ليه ؟.

ـ هو قاللى لو هتتأخرى كلمينى آجى اخدك ، بس أنا رفضت ، يبقى إيه منظرى قدام صاحبتى ، هو عايزها تقول إن جوزى بيشك فيا وفى أخلاقى .

ـ هو جوزك لما يغير عليكى ويخاف عليكى ، يبقى بيشك فيكى ؟!!.

صمتت هدى لحظة ، وقالت :ـ أنا هأحكيلك حكاية ، حكايتى أنا .

ـ أنا اتجوزت مرتين واتطلقت ، جوزى الأول ، كان مهندس شاب ، أكبر منى بخمس سنين ، وكنا عايشين سعدا ، عندنا عربية ومعانا فلوس ، عيشة مرتاحة يعنى .

وبعد كام شهر من الجواز ، حملت والجنين مات فى بطنى ، وشفت لهفته وخوفه عليا ، بعدها حملت تانى وربنا رزقنا بولد ، وبعدين حصلت مشاكل فى الشركة اللى كان شغال فيها ، وساب الشغل ، واتغيرت ظروفنا المادية ، فقال إنه هيدور على سفر ، وأنا وافقته ، واتفقنا إنه بعد ما يسافر هيظبط أموره هناك ويبعتلى أسافر له ، وبعد ما سافر بفترة قصيرة ، بعتلى علشان أسافر له ، بس أنا رفضت .

أسافر ليه ؟ ، واتغرب ليه ؟ ، وابعد عن أهلى ، هو يسافر ويبعتلى فلوس أنا وابنى ، وبقى يتحايل عليا كتير ، مرة أوافقه وأرجع فى كلامى ، ومرة تانية أعاند وأرفض ، ورغم كل ده رضى بالأمر الواقع .

وعلى فكرة ، كان بيغير عليا جداً ، وبيعمل معايا زى جوزك ، الخروج بإذن والرجوع بميعاد ، كان باقى يعملى دفتر حضور وإنصراف .

وهو مسافر ، اخدت راحتى ع الآخر ، أخرج وأرجع بمزاجى فى أى وقت ، لحد ما واحد من بلدنا كلمه ، وقاله مراتك بترجع كل يوم البيت متأخرة ولوحدها .

كلمنى ، وللحق كلمنى بكل هدوء ، أنا إتعصبت ، إزاى يحاسبنى على خروجى ، فقالى اخرجى بس ما تتأخريش ، ولو إتأخرتى أبوكى أو حد من إخواتك يروح يجيبك من المكان اللى إنتى فيه ، فرفضت وإتعصبت زيادة .

وكانت نتيجة عنادى إننا إتطلقنا ، وراح هو شاف حياته واتجوز ، وبأمانة إدانى كل حقوقى ، ونفقة الولد كانت بتجيلى كل شهر بدون تأخير .

وبعد طلاقى بسنتين ، واحد صاحبتى جابتلى عريس ، راجل من الجماعة السلفيين ، اللى بيتجوزوا كتير دول ، وكان متجوز وعنده أولاد كمان ، وعرفت إنه بيتجوز كتير ويطلق ، ومع ذلك وافقت ، لكنه هو اللى اتردد ، فبعتله ، تعالى نتجوز ، وأنا راضية بظروفك ، وكل اللى هتطلبه هأعمله ، وكان أول طلب له ، إنه مش عايز إبنى معايا ، ولا حتى عايزنى أشوفه تانى ، وعلشان أرضيه إتنازلت عن حضانة إبنى لطليقى واتخليت عنه .

إتجوزته ، وكان بيجيلى مرة فى الأسبوع ، يقعد معايا كام ساعة ويسيبنى ، وبقيت أخرج وأرجع براحتى ، وأعرفه إنى إتأخرت ، كنت عايزاه يغير عليا ، لكن ما حصلش مكنش فارق معاه ، وبعدين حصل حمل ، فطلب منى أنزله ، وأنا رفضت ، وقلت إزاى دا يبقى حرام ،فكان رده مش ماشى خالص مع دقنه الطويلة ، عارفة قال إيه ؟.

ـ إيه ؟.

ـ قال لا مش حرام ، مادام فيه عذر قوى .

ـ قلتله وإيه العذر القوى بقى ، رد وقال :ـ أنا عندى ولاد ومش عايز أخلف تانى ، وكمان لو كملتى الحمل هأطلقك ، تخربى بيتك بقى علشان الحمل .

ـ خفت يطلقنى ، الناس هتقول عنى إيه إتطلقت مرتين ، واحنا فى مجتمع بيتعامل مع الست المطلقة كأنها عار .

عملت الإجهاض ، وتفتكرى جه معايا عند الدكتور ، أبداً .

وكنت هأموت فى العملية ، وبعد أسبوع لقيته باعتلى ورقة الطلاق ، طلقنى من غير حتى ما يفكر ييجى يسأل عليا أو يشوفنى ، وطبعاً أنا كنت متنازلة عن كل حقوقى من قبل حتى ما نتجوز ، فكان الطلاق سهل جداً بالنسبة له .

بعد الطلاق للمرة التانية ، بقيت أفكر كتير ، وعملت مقارنات بينه وبين طليقى الأول .

الأول كان بيغير ويخاف عليا ، وأنا أقول دى حاجة تخنق ، والتانى أنا أصلاً مش فارقة معاه أبداً ، حتى فى الإجهاض الأول عمل إيه ، وده عمل إيه .

تنهدت هدى تنهيدة حارقة ، ودمعت عيناها ، وقالت :ـ دمرت حياتى بإيدى ، وخسرت إبنى ، عارفة بعد ما إتنازلت عن حضانة إبنى ، كان طليقى الأول يبعته يقضى معايا يوم كل أسبوع ، بس والتانى مش موجود ولا يعرف علشان زى ما قلتلك كان رافض إنى حتى أشوف إبنى ، كان بيتضايق من وجود الولد ، وتعرفى طليقى الأول كان مقدر ده ، ومكنش بيسبب لى أى مشاكل .

ودلوقتى بقالى عشر سنين ما شفتش إبنى ، مش راضى ييجى يزورنى ، وكنت ظنيت إن أبوه هو اللى قسّاه عليا ، لكن الحقيقة إن أبوه مالوش ذنب ، ورقة التنازل عن الحضانة وقعت فى إيده وشافها ، وعرف أن أنا اللى إتنازلت عن حضانته علشان أتجوز تانى .

إبنى عرف إن أنا اللى إتخليت عنه ، فاتخلى عنى .

وبكت هدى بحرقة :ـ فرحه كان الشهر اللى فات ، إتجوز ، ورفض إنى أحضر الفرح ، لكن إن أبوه جه وعزمنى ، وقال هأقعدك فى مكان تشوفيه من غير ما ياخد باله ولا يشوفك ، ما هو رافض إنى أحضر الفرح ، رحت وشفته جنب عروسته ، من غير ما آخده فى حضنى وأباركله .

قامت مريم واحتضنت عمتها ، وهما يبكيان .

فقالت هدى :ـ دلوقتى أنا قربت على ستين سنة ، عايشة لوحدى بعد أبويا وأمى ما ماتوا ، وإخواتى كل واحد منهم مشغول بحياته ، بييجوا يسألوا عليا من وقت للتانى ، لكن بقيت وحيدة .

وأكملت :ـ حافظى على بيتك وجوزك يامريم ، وخدى بالك من بنتك ، وجودها بينكم نعمة ، إنتوا مش حاسين بيها .

قومى إتصلى بجوزك ، خليه ييجى ياخدك وارجعى بيتك ، إنتى ملكة البيت ده ، لو إتخليتى عنه هتلاقى نفسك جارية فى بيت تانى .

إتصلت مريم بزوجها ، وعادت معه إلى مملكتها ، وعملت بنصيحة عمتها ، وعاشت سعيدة للأبد مع زوجها وإبنتها .

خمسة عشر عاماً

فى مركز الآشعة بمعهد ناصر ، أعطت الممرضة حقنة المادة المشعة لعادل ، تمهيداً لعمل الآشعة المقطعية ، وقالت :ـ حضرتك هتستنى فى الأوضة اللى جنبنا مع بقية المرضى ، وبعد ساعة هتعمل الآشعة .

عادل : إن شاء الله .

دخل عادل الغرفة ، وكان بها رجل يبلغ من العمر سبعون عاماً ، وفتاة شابة تجلس بجوار إمرأة أربعينية .

لفتت الفتاة إنتباه عادل ، فهى جميلة ورقيقة ، وظل يختلس النظرات إليها من حين لآخر .

لاحظ الرجل العجوز ذلك ، وابتسم وقال :ـ بما إننا محبوسين مع بعض فى الأوضة دى ، نتعرف بقى على بعض ونرغى شوية .

ثم نظر لعادل وغمز له بعينه ، فابتسم عادل ، وعلم أن العجوز لاحظ نظراته للفتاة .

العجوز : أنا إسمى صابر ، من باب اللوق ، عندى سبعين سنة ، ومريض بسرطان الغدد الليمفاوية .

ثم نظر لعادل :ـ والأستاذ إسمه إيه ؟.

عادل : إسمى عادل ، من دمنهور، وعندى سرطان فى الغشاء البريتونى ، وعمرى أربعين سنة .

ثم نظر العجوز للمرأة ، فقالت : أنا إسمى منى من شبين الكوم ، عندى خمسة وأربعين سنة ، وعندى سرطان بالثدى .

ثم التفت للفتاة ، فقالت : وأنا إيمان ، عمرى خمسة وعشرين سنة ، من دمنهور ، وعندى سرطان بالغدة الدرقية .

فابتسم العجوز بخبث ، وقال : وإنتى كمان من دمنهور .

فاستحت إيمان ، ونظرت للأرض .

وظل العجوز يضاحكهم ويلقى عليهم النكات والحكايات ، حتى أشاع جواً من المرح والبهجة فى الغرفة ، وتبادلوا أرقام هواتفهم حتى يتواصلوا مع بعضهم البعض .

وبعد أن إنتهوا من عمل الآشعة ، إنصرف كلاً منهم فى طريقه .

وفى اليوم التالى أمسك عادل هاتفه المحمول ، وظل يقلبه فى يده ، وهو متردد ، أيتصل بإيمان أم لا ، حتى رن هاتفه فجأة ، ووجد إسم إيمان على الشاشة .

- ألو .

- إزيك ياأستاذ عادل ، أنا إيمان اللى كنت معاك فى معهد ناصر إمبارح .

ـ أهلاً آنسة إيمان ، عاملة إيه ؟.

ـ الحمد لله تمام ، إنت عامل إيه ؟، أنا حبيت بس أطمن عليك .

ـ ربنا يعزك ، دا من ذوقك .

ـ الله يخليك .

ـ ممكن أبقى أكلمك من وقت للتانى ، أطمن عليكى أنا كمان .

ـ طبعا ممكن ، دى حاجة تبسطنى .

وبعد هذه المحادثة ، تكررت الإتصالات بينهما ، وتعددت اللقاءات ، حتى أينع الحب فى قلبيهما .

ومع مرور الوقت ، تدهورت حالة إيمان الصحية ، وانتشر الورم فى بعض أعضاء جسدها ، وأصبحت تحتاج إلى جراحة عاجلة .

ذهب عادل لزيارتها فى المستشفى ، وكان والديها بجوارها ، فسلم عليهما ، وعرفهما بنفسه ، وعلم منهما بأنه قد تحدد لها موعد للعملية الجراحية فى اليوم التالى .

خرج عادل من الغرفة ، وذهب للطبيب المتابع لحالتها ، وسأله عن وضعها الصحى ، فأخبره بأن حالتها خطيرة ، والأمل فى نجاتها ضعيف ، فعاد إلى غرفتها ، وقال لوالدها : لو سمحت ياعمى ، ممكن كلمتين على إنفراد .

ـ طبعاً يابنى اتفضل .

وخرج الإثنان من الغرفة ، وقال عادل :ـ عمى ، أنا طالب إيد إيمان منك ، عايز أتجوزها .

دُهش الأب ، وقال :ـ يابنى تتجوزها إزاى ، إنت عارف وضعها الصحى ، أنا مش هأقبل تتجوز بنتى شفقة .

ـ أنا بحبها ياعمى من فترة طويلة ، وجوازى منها مالوش علاقة بالشفقة ، حضرتك بس إسألها عن رأيها .

ـ تعالى ندخل نسألها .

ودخل الإثنان الغرفة ، وقال الأب :ـ ياإيمان ، عادل طلب إيدك منى .

ابتسمت ، وقالت :ـ هتتجوزنى وأنا كده ؟!!.

ـ يعنى إيه إنتى كده ، ياريت إنتى بس توافقى عليا ، دا أنا أكبر منك بخمستاشر سنة ، وإحنا بنحب بعض من فترة .

ضحك الأب ، وقال :ـ إنتوا بتحبوا بعض من فترة ، وأنا طرطور بقى .

وضحك الجميع .

عادل : أنا هاروح أجيب المأذون ، ونتجوز حالاً .

وخرج عادل ليحضر المأذون ، وعاد فى السابعة مساءاً ومعه المأذون ووالديه

والشهود ، وقد اشترى لإيمان فستان أبيض للزفاف .

وبعد أن إرتدت الفستان الأبيض ، وتم عقد القران ، قال عادل :ـ أنا إستأذنت الدكتور علشان نخرج ونعمل زفة ووافق .

تأبطت إيمان ذراع عادل ، وخرجا من المستشفى ، وقد ضجت أركانها بالزغاريد وأصوات التهنئة ، وما أن خرجا من المستشفى حتى وجدت إيمان أن عادل قد أحضر أصدقائه وأصدقائها ، وأعد سيارة للزفة مزينة ببوكيهات الورود ، وركبا السيارة وخلفهما الأهل والأصدقاء فى عدة سيارات وفى زفة رائعة جابت شوارع المدينة .

وأثناء الزفة ، شعرت إيمان ببعض التوعك ، فوضع عادل رأسها على كتفه ، وضمها بذراعه حتى شعر بارتخاء جسدها :ـ إيمان ، إيمان !!!.

فارقت إيمان الحياة ، فارقتها وهى بين ذراعيه ، دمعت عينا عادل ، وعادت الزفة ، وقد أطبق الصمت على الجميع ، صمت لا يكسره إلا دموع الحاضرين ونحيب عادل .

وبعد وفاة إيمان ، عاش عادل فى حالة نفسية سيئة ، تركت أثرها على مرضه ، وجعلت إستجابته للعلاج ضعيفة ، رغم محاولات والد إيمان لمواساته ، ولكنها محاولات باءت بالفشل .

ولم يمر أكثر من شهور قليلة ، حتى لحق بها إلى أكثر خلوداً وأفضل حالاً .

****

ـ عادل ، عادل .

فتحت إيمان عينيها بضعف ، ونظرت لعادل الجالس على مقعد بجوار سريرها ، وقالت :ـ أنا فين ؟.

ـ حمد الله على السلامة ياحبيبتى ، إنتى فى العناية المركزة ، عملتى العملية ونجحت الحمد لله ، ومعدش فيه أثر للسرطان فى جسمك .

ـ يعنى كده خلاص ، أنا خفيت .

ـ أيوه الحمد لله ، هتاخدى بس كام جرعة كيماوى ، علشان نضمن إننا قضينا على المرض نهائياً .

ـ الحمد لله .

ـ كلها كام يوم وتخرجى من المستشفى ونروح بيتنا .

ـ إن شاء الله .

ثم صمتت لحظة ، وقالت :ـ أنا آخر حاجة فاكراها ، إنى نمت على كتفك فى العربية ، واحنا فى الزفة ، وسمعتك وإنت بتقولى ، إيمان ، إيمان ، بس مقدرتش أرد عليك .

ـ أيوه ، نمتى ، ورجعنا المستشفى .

ـ أنا سمعتك من شوية قبل ما ترد عليا ، وإنت بتهمهم بكلام مش مفهوم ، إنت كنت بتحلم ؟.

ـ أيوه ، كان كابوس ، عن حاجة حصلت بعد ما نمتى على كتفى فى العربية .

ـ إحكيهولى .

ـ لا ، المهم إنه كابوس ، وما إتحققش .

قاتل محترف

يجلس المعلم ربيع في محله ، وهو يضع يده على خده مهموماً ، فيأتى صبيه تامر ، ويقول :- مالك يامعلم ، فيه حاجة مزعلاك ؟.

ـ الحال واقف ياض ياتامر .

ـ بكرة تُرزَق يامعلمى .

ـ هو إنت خسران حاجة ياروح أمك ، ما إنت بتاخد يوميتك ، إشتغلنا ولّا ما إشتغلناش .

ثم أكمل قوله :- وأنا بأتكلم معاك ليه ، أنا قايم مروح .

عاد ربيع لمنزله ، وغير ملابسه ، وجلس أمام التليفزيون ، فجلست زوجته بجانبه ، وقالت :- مالك ياربيع ، شايل طاجن ستك ليه ؟.

ـ السوق نايم يا أم العيال ، ومفيش لا بيع ولا شرا .

ـ يا أخويا ، بكرة تُفرَج .

ثم قامت لتعد طعام الغذاء ، وربيع يشاهد التليفزيون ، حتى عرض التليفزيون فيلماً اجنبياً عن قاتل محترف .

أتى الليل على ربيع ، ورقد في سريره يحاول النوم ، لكن النوم فارقه ، وأحداث

الفيلم تدور في رأسه ، حتى جاء الصباح ، واستيقظت زوجته ، وقالت :- إنت مالك ياراجل طول الليل عمّال تتقلب في السرير ولانمت .

- أنا بأفكر أغير شغلانتى .

- وهتشتغل إيه يافالح ؟.

- قتّال قتلى .

- بتقول إيه يا فالح ؟! ، والنبى إنت إتهبلت .

- ياوليه إفهمى ، دى شغلانة هتنغنغنا ، بس هاحتاج طبنجة .

- ودى هتجيبها منين ؟ ، هو إنت حيلتك مليم .

- ما أنا هاخد حتتين الدهب بتوعك ابيعهم وأشترى الطبنجة .

- إنسى ، أنا مش هأبيع من دهبى جرام واحد علشان هبلك ده ، ياراجل دول يدوب غويشة ودبلة ايناهم للزمن ، عايزنى أفرط فيهم .

- ما أنا هأعوضك ، وهاجيبلك قدهم عشر مرات ، دا العملية الواحدة هأطلع منيها بألفات .

- صحيح ياربيع ، ولّا بتضحك عليا .

- بكرة هتشوفى .

وبعد أن أقنع زوجته ، ذهب لدكانه ، وأخبر تامر بتغيير النشاط ، فقال تامر

:- يامعلم دى شغلانة خطر .

ـ آه بس مكسبها كبير .

ـ والزباين هيعرفونا منين ، وإحنا جُداد في الكار .

ـ فيه قهوة إسمها قهوة السفاحين ، كل السفاحين بيقعدوا عليها ، إحنا هنروح نقعد هناك ، والزباين تجيلنا لحد عندنا .

إشترى ربيع الطبنجة ، وذهب هو وتامر لقهوة السفاحين ، وجلسا .

وأتت الزبائن لكل السفاحين إلّا ربيع ، ولم يعد موجود بالقهوة غيرهما ، وأنتهى يومهما بلا عمل .

وتكررت الأيام ، والحال هو الحال ، يذهب ربيع وصبيه تامر للقهوة والزبائن تختار غيرهما من السفاحين .

وفى أحد الأيام ، وهما جالسين على القهوة ، قال تامر :- وبعدين يامعلم ، إحنا بقالنا فترة على الحال ده ، لا شغلة ولا شغلانة ، والمعلمين التانيين شغالين على ودنه .

ـ ماهو نحس أمك ده اللى واقف حالنا .

ـ وأنا مالى يامعلم .

ـ يعنى ابقى سفاح والصبى بتاعى إسمه تامر ، أنا ضرورى أغير إسمى ، من

النهاردة أنا المعلم ربيع الدباح ، وشكلك ده هأغيره .

ـ تغير شكلى ؟!!، إزاى ؟.

ـ قوم بينا نروح وهأقولك .

ولما وصلا لبيت ربيع ، قال ربيع :- شوف ياتامر أنا هأضربك مطوة في وشك ، أعملك بشلة ، تخلى اللى يشوف وشك يخاف .

تامر باكياً :- يامعلم إنت المعلم ، المفروض يخافوا منك إنت ، مش منى .

ـ ياض إنت إسمك تامر ، البشلة تخلى الناس يخافوا منك وأنا إسمى يخوفهم ، المعلم ربيع الدباح .

ـ بلاش يامعلم ، الله يخليك .

ـ جرى إيه ياض إنت هتعصى أوامرى .

وقام وضرب تامر بالمطواة على وجهه .

وأثمرت فكرة ربيع ، وجذب إسمه ووجه تامر الإنتباه ، حتى أتى إليهم أحد الزبائن ، يريد قتل أحدهم ، وجلس معهما يحتسون الشاي ، وأخبر ربيع بالشخص الذى يريد قتله ، ثم قال :- طلباتك يامعلم .

ـ خمسة وعشرين ألف جنيه .

ـ كام ، ما تآخذنيش يامعلم كتير ، وإنت مش معروف يعنى .

هب ربيع غاضباً ، وضرب المنضدة بيده ، فطارت الأكواب ووقع الشاي الساخن على وجه تامر وإستلقى على الأرض :- آآآه ، وشى ، وشى .

نظر ربيع لتامر نظرة بلهاء ، وإندهش الزبون ، وقال ربيع :- قلت إيه يابيه ؟، وأنا مش هاخد الفلوس إلّا بعد التنفيذ .

- إتفقنا يامعلم ، دا عنوان الراجل .

إنصرف الزبون ، وهو يلتفت وراءه وينظر لتامر الملقى على الأرض يصرخ متألماً .

قام تامر وغسل وجهه ، وعاد ليجلس بجوار ربيع ، فقال ربيع :- مال وشك ياض ياتامر ، أحمر كده ليه ؟!!.

- أحمر !!!، مفيش يامعلم ، وشى أحمر من الكسوف ، علشان دلقت الشاي بتاعك إنت والزبون .

- مش مهم ، قوم يلّا نجهز للعملية .

وفى منتصف الليل إرتدا الأقنعة ، وأخذ ربيع مسدسه وذهبا للعنوان ، وقفزا من فوق سور الفيلا ، ودخلا ليجدا الضحية أمامهما ، وصُعق الرجل من رؤيتهما وتصلب مكانه ، فصوب ربيع مسدسه نحو رأس الرجل ، ولكن المسدس بدلاً من أن يطلق رصاصة أطلق ماءاً .

ووقف ثلاثتهم مندهشين .

فقال تامر :- إيه ده يامعلم المسدس بيطلع ميه بدل الرصاص .

- غريبة ياض ، دا أنا معمره قبل ما نيجى .

- طيب ماحطيتش مع المية صابون ، علشان نغسل وش الزبون كويس .

- إنت بتتريق ياروح أمك .

واثناء شجارهم ، إستجمع الرجل قواه ، واخرج مسدسه من الدرج وأطلق طلقة في الهواء فانتفض الإثنان وهربا سريعاً .

وفى طريق العودة أخذ ربيع يقلب في المسدس ، وصرخ قائلاً :- دا المسدس بتاع الواد إبنى الصغير ، أخدته بالغلط ، ياليلة سودة ، بينا ياتامر على البيت ، الواد ممكن يلعب بيه ويصورلنا قتيل .

ذهب ربيع ومعه تامر على عجل للبيت ، ليسمعا صوت الرصاص وصراخ زوجة ربيع ، وما أن فتح ربيع الباب حتى جاءت رصاصة ومرت بجواره ، فهرب تامر ، أما ربيع فإستلقى منبطحاً على الأرض ، وظل يزحف حتى إختبأ وراء الكنبة بجوار زوجته التي تصرخ مع كل طلقة رصاص ، ونظر من جانب الكنبة ، وقال :- هات المسدس ياحمادة .

وحمادة يطلق الرصاص سعيداً ، حتى فرغ المسدس من الطلقات ، فقام ربيع وأخذ منه المسدس ، وألقى بجسده على الكنبة .

فقالت زوجته :- شفت ياموكوس آخرة دماغك ، الواد كسر الشقة ، يالهووى

، التليفزيون باظ ، إلهى يجيلك ويحط عليك ياربيع وأشوف فيك يوم ، وياترى عملت إيه في عملية الليلة ؟، قتلت الراجل .

ـ لا ، حمّيته بالميه .

ظل ربيع لساعات يراضى زوجته حتى هدأت ، وناما في اليوم التالى ذهب ربيع لقهوة السفاحين ليجد تامر منتظراً له .

ـ إنت بتسيبنى وتهرب ياض .

ـ يامعلم الواد إبنك كان عامل فيها رشدى أباظة ، وبيضرب نار في كل حتة ، دا الرصاصة عدت بينى وبينك .

ـ حسابنا بعدين ياتامر ، قولى فيه زباين جت .

ـ أنا إستلقطت زبون ، وراح مشوار وراجع .

ـ كنت قعدته ياض ، كده مش هيرجع .

ـ ما تقلقش يامعلم زمانه جاى .

جلسا لساعات ، حتى أتى الزبون ، وتوجه نحوهم ، فقال تامر :- المعلم ربيع الدباح ياباشا ، أكبر سفاح فيكى يابلد .

تم الاتفاق ، وإنصرف الزبون ، وعاد ربيع وتامر ليستعدا ، للعملية الجديدة ، وفى منتصف الليل ذهبا لمنزل الضحية ، وما أن وقفا أمام باب الشقة يحاولان

فتحه ، حتى سمعا صوتاً مفاجئاً ، نباح كلب .

فصرخ ربيع :- كلب ، إجرى ياض .

وهربا ، وفى طريق عودتهما ، قال تامر :- إنت بتخاف من الكلاب يامعلم ؟.

ـ أنا عمرى ماخفت من حاجة ، إلّا الكلاب .

تمتم تامر :- وعايز تبقى سفاح !!!.

ـ بتقول إيه ياض ؟.

ـ ولا حاجة يامعلم .

ثم صرخ تامر :- إوعى الكلب يامعلم .

ـ كلب ، إجرى ياض .

وأخذ ربيع ذيله في أسنانه وهرول لا ينظر خلفه ، وتامر خلفه يضحك ، فلم يكن هناك أي كلب .

وفى اليوم التالى ذهبا كالمعتاد لقهوة السفاحين ، وما أن رآهم بقية السفاحين ، حتى إنطلقت تعليقاتهم الضاحكة ، فقال أحدهم :- عملت إيه مع الكلب يامعلم دباح ؟.

وقال آخر :- دبحه وطبخه مع ملوخية .

فقال ربيع لتامر :- إنت حكيت لحد عن اللى حصل إمبارح ياض ؟!!.

ـ والنعمة يامعلمى مافتحت بقى .

فذهب إليهم أحد السفاحين ، وهو يكاد يموت ضحكاً ، وبيده تليفونه المحمول :- شوف يامعلم ربيع الفيديو ده .

وأعطى ربيع التليفون ، ليشاهد فيديو إنتشرعلى مواقع التواصل الإجتماعى ، لربيع وتامر وهما يهربان فزعاً من الكلب ، وقد ظهر الكلب في الفيديو .

فقال السفاح :- إنت خفت من الكلب ده ، دا كلب لولو ، الأرنب أكبر منه ، هاهاها .

ظل ربيع وتامر مصدر سخرية جميع رواد قهوة السفاحين لأيام ، حتى أتاهم زبون جديد وعملية جديدة .

وذهبا في الميعاد لتنفيذ العملية ، وعندما دخلا بيت الضحية ، فوجئا بأن الزبون الذى إتفق معهما هو من ينتظرهما ، وهو الضحية ، فقال ربيع :- مش إنت ياباشا اللى إتفقت معانا على القهوة .

ـ آه ، أنا اللى عايزكم تقتلونى ، زهقت من الدنيا وعايز أنتحر بس مقدرتش ، أنا جبان .

وبكى الرجل ، وربيع وتامر وقفا مبهوتين أمام الرجل ، الذى صرخ :- يلا نفذوا وخلصونى .

وماهى إلا لحظات ، وأمسك الرجل بمسدس بجواره ، واطلق رصاصة على

رأسه ، فصرخ تامر :- ياليلة مالهاش آخر الراجل موت نفسه .

وربيع يقف مذهولاً لاينطق ، وارتعد ثم قال بصوت متقطع :- دم ، دم .

ثم وقع مغشياً عليه ، وتامر يحاول إفاقته :- معلمى ، يامعلمى ، فوق يامعلمى ، قوم يامعلمى الله يخرب بيتك هنروح في داهية ، وعايز تشتغل سفاح .

وحمل تامر ربيع بصعوبة وعاد به للمنزل ، ففتحت زوجة ربيع الباب لتجد تامر يحمله على كتفه .

- إيه اللى جراله ياواد ياتامر ؟!!.

- الراجل اللى رحنا نقتله موت نفسه قدامنا ، فالمعلم أول ما شاف الدم سورء ، هاتى فحل بصل نفوقه .

أحضرت زوجة ربيع بصلة ، ووضعتها على أنف ربيع ، ففتح عينيه وقال :- أنا فين ؟!.

- إنت في بيتك ياراجلى وخيبة أملى ، بتخاف من الدم يا ابن الهبلة وعايز تبقى سفاح ، قوم يا موكوس .

قام ربيع خجلاً ، وانصرف تامر لمنزله ، وإنقضت الليلة ، وفى اليوم التالى بعد أن إستيقظ من نومه ، وأثناء تناوله طعام الفطور مع زوجته وأولاده ، قال لزوجته :- أنا بأفكر أغير نشاطى تانى .

نظرت إليه زوجته ، وقامت من موضعها دون أن ترد عليه ، وذهبت للمطبخ

، وأحضرت سكين كبير ، وقالت :- إنت كنت بتقول إيه ياربيع ؟.

ربيع بخوف :- أنا مقلتش حاجة ولا فتحت بقى .

ـ طيب ، إطفح وإنت ساكت وروح على دكانك .

ـ حاضر .

وأكمل فطوره ، وهو ينظر إليها بخوف ، والسكين بيدها .

قلبٌ أتلفه الهَوى

قلبُ ، أتلفه الهوى

حلّــق عاليـــاً ، ثــم هَــوى

كــم كــان معذبـــاً بالجــوى

وفى طريق العشق ، قد سعـى

ظمــآنُ للحـبِ ، وما ارتـــوى

إلّا نهـــر العيـن ، ومــا بكـــى

وفى سمعهِ ، صوتها والصدى

يتردد عليــه ، ليــلاً وضُحـــى

لا يفارقـه ، إن نـام أو صحـى

فــآوى إلــى ركـــنٍ ، وزوى

لعلــه يتــوب ، وقــد نـــــوى

عـن ذاك السبيل ، ومـن غوى

رحم الله ، من بالسهم قد رمى

وعن الوصـــال ، ابتعـد وأبـى

لكنـه قـدرُ ، بـه الإلـــهُ قضــــى

قلبُ أتلفه الهوى

أشعر بكِ

ـ أنا أشعر بكِ دون أن أراكى أو أسمعك .

ـ وكيف هذا ؟!!!.

ـ إنى أشعر بكِ عندما تكتبين إسمى ، أنتى تكتبيه بأربع طرق مختلفة .

عندما تكونى غاضبة منى ، تكتبيه وكأنك تشيحى بيدك .

وعندما تُغضبيني ، تكتبيه وكأنك تعتذرى ، ولا تريدين الإعتذار .

وعندما تتألمى ، تكتبيه وكأنك ترتمين بين أحضانى .

وعندما أغازلك ، تكتبيه وأنتى خجولة .

وفى كل الأحوال ، أحب إسمى عندما تكتبيه .

عايز أسافر

قال لها : عايز أسافر .

ـ تسافر ليه ؟.

ـ عايز أمشى من البلد دى ، لكن عندى نقطتين ضعف ، أمى وإنتى .

ـ واضح ، علشان كده عايز تمشى وتسيبنا .

صمتت لحظات ، ثم استطردت : عموماً إنت حر ، إمشى ، سافر ، دى حياتك وإنت حر فيها .

ابتسم .

كيف يبتعد عن إمرأتين ، أحدهما أمه والأخرى وطنه .

لا يستطيع أن يبتعد عنهما .

فقال لها : خلاص مش هأسافر .

فقالت بعصبية ممزوجة بالإبتسام : منك لله يابايخ ، أنا جالى صداع .

ما تستغربش

بنتقابل فـى الحياة ، صدفـة

نكسب حـد معانا ، لو وفّـا

ونخسر غيـره ، ونستكفـى

ما تستغربش

الدنيا فزورة ، ما نفهمهــا

مرة أشـواك ، ما نـهضمها

ومرة فاكهــة ، نستطعمها

ما تستغربش

قلــوب عليـــــك ، بتتقلـب

وعقول عليـك ، بتتشقلـب

وهموم عليـــك ، بتتغلــب

ما تستغربش

نصيبك فـى الحياة ، شوفه

وحقك منهـا ، مـا تفوتــه

وحزنك لو حاصرك فوته

وما تستغربش

طبيب بلا حدود

نادر طبيب شاب ، يبلغ من العمر تسعة وثلاثون عاماً ، يعيش حياة إجتماعية معقدة ، فقد تزوج مرتين من قبل ، وقد إنتهت الزيجتين بالطلاق ، لعدم قدرته على الإنجاب .

رضى نادر بقضاء ربه ، وانغمس فى عمله كطبيب بأحد المستشفيات الحكومية .

وفى إحدى المناسبات ، إلتقى بفتاة شابة إسمها سالى ، أُعجب بها من أول نظرة ، ولكن عقله أبى عليه ذلك ، أما القلب فلا حكم له عليه .

تبادلا أطراف الحديث وأرقام الهواتف ، ومع مرور الوقت وبعد إتصالات ولقاءات متكررة ، تغلغل حبها فى قلبه ، فأصبح لا يفكر فى أى أمر من أمور حياته سواها ، فصارحها بحبه وأجابته بالمثل .

وفى إنتظار أن يتخذ خطوة جادة لتتويج هذا الحب بالزواج ، لم يقم نادر بأى حركة إيجابية ، فهو يعلم جيداً أن ظروفه الإجتماعية وتعذر الإنجاب سوف يمثلان عائقاً كبيراً أمام زواجه من حب عمره ، لم يحب أحداً قبلها ولن يستطيع أن يحب بعدها ، لكن من يتقبل مثل هذه الظروف .

بدأت سالى تشعر بالقلق ، ماهى نتيجة هذه العلاقة ، وهو بالنسبة لها شخص

غامض ، لا تعرف عنه إلا القشور ، حتى بدأت بالضغط ليه فى إحدى اللقاءات ، وسألته .

ـ نادر ، أنا عايزة أعرف إيه آخرة علاقتنا ، أنا ماعرفش عنك أى حاجة .

ـ أنا بحبك ، عمرى ما حبيت حد قبلك ولا هاحب حد بعدك ، لكن أنا ظروفى الإجتماعية معقدة جداً .

ـ إيه هى ظروفك دى ؟ ، أنا عايزة أعرفها ، ليه مش عايز تصارحنى ؟!.

ـ علشان مش عايز أحكى .

ـ مش عايز تحكيلى ، المفروض إن أنا حبيبتك ، ومن حقى أعرف كل حاجة عن الإنسان اللى هارتبط بيه .

وتركته وذهبت .

وظل نادر يتهرب منها كلما حاولت ، ولكنها واصلت الضغط عليه ، حتى إلتقيا ذات يوم ، وقال :ـ عايزة تعرفى إيه هى حياتى المعقدة ، أنا إتجوزت مرتين قبل كده ، والمرتين إنتهوا بالطلاق بسبب عدم الإنجاب .

ثم خر باكياً ، وقال :ـ إنتى حب عمرى ، لكنك بالنسبة ليا أمنية مستحيلة ، أنا مش عايزك تربطى حياتك بيا ، كل اللى أتمناه إنك كل يوم تبعتيلى رسالة تقوليلى صباح الخير ، شوفى حياتك ومستقبلك .

ـ أنا مش كفاية عليا أقولك صباح الخير وخلاص ، أنا بحبك .

واستمرت العلاقة ، ولكن مع مرور الوقت بدأ الملل يتسرب إلى قلب سالى ، وشعر نادر بذلك ، حتى كلمات الحب لم تعد تقولها أو تردها عليه ، فتكلم مع إحدى الصديقات وصارحها بواقع الحال ، وطلب منها أن تتحدث مع سالى ، ليعلم سبب تغيرها نحوه .

تحدثت الصديقة مع سالى ، وصارحتها أنها تحبه ، ولكن ظروفه هذه ، هل من الممكن أن يتقبلها أهلها أم لا .

وفى ظل هذه العلاقة المبهمة ، والتى بدأت فى الفتور من ناحيتها ، ولكنها إزدادت شغفاً وعشقاً من ناحيته .

وفى أحد الإتصالات ، قال نادر :ـ أنا قدمت فى منظمة أطباء بلا حدود ، وقبلت وهاسافر قريب .

ـ عارفاها ، بس دى شغلها خطر ، كلها فى أماكن حروب وأوبئة ، إيه اللى يخليك تعمل كده ؟.

ـ أنا ماليش حياة هنا .

ـ وأنا ومامتك ؟.

ـ إنتوا نقطة ضعفى .

ـ واضح جداً ، علشان كده عايز تمشى وتسيبنا ، عموماً براحتك يادكتور ، دى حياتك وإنت حر فيها ، إتفضل سافر .

وبكت وأغلقت الخط .

وبدأ نادر فى إنهاء إجراءات السفر ، ودموع والدته لاتنقطع ، وهى تعلم أن إبنها مسافر للخطر المجهول ، ولا تدرى هل سيعود أم لا .

سافر نادر ، وتنقل بين البلدان لمدة عامين ، دون أن يعطى نفسه ولو يوم واحد راحة ، وعندما يتصل بأمه يخبرها بمدى سعادته بالعمل الذى يؤديه .

حتى تحددت وجهته القادمة .

أفغانستان .

وبعد مرور شهر من عمله فى أفغانستان ، تداولت وسائل الإعلام أخبار عن إختطاف عدد من أطباء منظمة أطباء بلا حدود ، وأحدهم مصرى .

واعتصر الخوف قلب أم نادر ، هل إبنها أحدهم .

وعلى جانب آخر ، علمت سالى بالأخبار المتواترة ، وبدا عليها القلق .

حتى تم نشر صور الأطباء المختطفين ، ونادر أحدهم بالفعل .

وعلى مدى أيام تضاربت الأقوال حول مصير هؤلاء الأطباء ، حتى أذاعت إحدى القنوات فيديو للأطباء .

جلست سالى أمام التليفزيون ، تشاهد الفيديو المذاع ، وقد إقتربت الكاميرا من وجه أحدهم .

إنه نادر ، يتمتم بكلمات ، قرأتها سالى من شفاهه ، وهو يقول :ـ بحبك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

ثم إخترقت رصاصة قلبه ، ذلك القلب الذى قُتل قبل أن تصيبه الرصاصة ، قلب عاش غريباً ومات غريباً .

وبعد مرور عدة أشهر ، أعادت منظمة أطباء بلا حدود حقيبة نادر ، وبها جميع متعلقاته الشخصية .

فتحت الأم الحقيبة وهى تبكى وليدها ، ووجدت قصاصة من الورق بخط يده مكتوب بها :ـ

نحيا ونموت فى هذا العالم ، ولا نريد سوى أن يتذكرنا أحدهم ، ولكننا بشر ، مصابون بآفة النسيان .

إن كُنتُ ذَنباً

إن كُنتُ ذنبــاً ، فبـاب التـوبــة مفتـــــــــوح

لا أُخيّب الظــن ، وأبــداً بالسرِ لا أبـــــــوح

فأنا كالمرآة ، ترى نفسك فيها ، لكنها بلا روح

زجاجهــا مـن ألمـاس ، بريقها نــور وَضُـــوح

أسمع أنيــن شكــواك ، ولك صديــق نصـــوح

قلــبى كصرح كبيــر ، ربمــا أكبـر الصـــروح

فيــه شفــاء لآلامـك ، إن أصابتك الجــــروح

لا أُغضبـك ، وإن أنــت أغضبتنـــى صفـــوح

فكُـن لــى غيثاً ، تسيـل قطـراتـه على السفـوح

تنبت زهــرةً مـن ياسميــن ، بالعطـر تفـــوح

فــي وادٍ مـن الزمـرد ، بـه عصفـور ينـــــوح

مـن لهيب شوقـهِ لعينيـك ، ووجهـك الصبـوح

سـأكون لك قـارب نجـاة ، لا يعرف الجنـــوح

ينتشلك مـن أحزانك ، وإن كانـت كالقـــروح

لا تخشانــى ، واختبـئ فـي أحضانى لا تــروح

ما يخفيـه القلـب فـي طياته ، به العيون تبــوح

عيـون مبرأة من الآثـام ، كمُهرة مدللة جمــوح

تفشى الأسـرار جميعهـا ، ولـها الإذن ممنــوح

لا حكم لـى عليها ، أحفظ السـر وهـى فضــوح

فـلا يخيب ظنـك بـى ، واغفـر لعينى ما تبــوح

إهدى يا حاجة

إهدى يا حاجـة ، مـا تهدى يا عـــم

إسكتـــى يا مادام ، ويـاريـت نتلـــــم

طويـــل وتخيـــن ، رُفيّـــع وقـــزم

عامليـن دوشـــة ، صـــداع وغـــم

خنـــاق وزعيـــق ، وســب وشتـــم

تحبــوا الفوضـى ، لا نظام ولا سلـم

مفيش تقديـر ، ولا حتـى فيـه دعـــم

الجهـل بقـى مـرض ، ومـات العلـم

البلطجة رجولة ، والشاطر اللى يُخم

والطيـب منبـوذ ، وطبعـــه يتـــذم

لا أدب ولا أخـــلاق ، جاتكـو الهـــم

مـش عـارفيـن تربـوا ، لا أب ولا أم

العيـل صايـع ، والبنت شـــيء يُغـم

جرالكوا إيــه ، لسانكم بينقط ســم

العـدل بينكم راح ، وســاد الظلـــم

جشعكم زاد ، نـاس نُـص كُـــــم

أكلتــم حـــرام ، حتــى مـال اليُتــــم

إتعدلـــوا بقــى ، وخلّــو عندكـــو دم

ما تهـدى ياحاجــة ، وإتلـم يا عـــم

تعرف

تعرف ، أحلـى ما فيك ، هى عيونـك

الناس لـو شافـوا جمالها ، يحسدونـك

خبّى الإبتسامـــة ، وغطيهـا بجفونـك

وابعد عن الحزن ، ولا تنزل دموعك

تعرف ، أحلـى ما فيك ، هى عيونـك

الدنيا حلـوة ، واحلوت أكتر بوجودك

إن كنـت عاقـل ، ولّا حتـى بجنونـك

القلـــب يحضنك ، وجـوّاه يصونـك

تعرف ، أحلـى ما فيك ، هى عيونـك

لـو بإيدى أسعدك ، وأمحـى شجونـك

وأخلـى القمـر ينزل ، ينــور دروبـك

مع إن نـور القمـر ، هيختفـى بنورك

تعرف ، أحلى ما فيك ، هى عيونـك

الشمس كسفت ، قدام رقتك وكسوفك

وشجر التفاح غار ، من لون خدودك

ليك حــق تتقل عليا ، ويزيد غرورك

تعرف ، أحلــى ما فيك ، هى عيونـك

بامبينو

خواجة خريستو	خلّف بامبينو
إسم الله عليه	سماه باولينو
عيونه زرقا	وشعره أصفرينو
عمله سبوع	والكل مباركينو
راح بيه للدكتور	وقامو مطاهرينو
ومن الأمراض	بالحقنة مطعمينو
باولينو فجعان	عايز يرضعينو
جابله لبن	وباكتة بامبرزينو
خريستو محتاس	مفيش قروشينو
مرتبه مش مكفى	والباقى مستلفينو
البامبينو كبر	ودخل البيبى جاردينو
لبس ومصروف	وبوكس لانشينو
خريستو تعب	محتاج فلوسينو

إجمد ياخريستو	دا لسه في الجاردينو
لسه فيه مدرسة	وهتدفع مصروفاتينو
وكتب خارجية	ودروس خصوصينو
ولو تعب ، تروح	للدكتور عليه تكشفينو
وتجيب له علاج	حقن وشراب ولبوسينو
دا غير الفواتير	مية وغاز وكهربينو
وهتعمل إيه بقى	لما يروح الجامعينو
ويتخرج ، ويبقى عاطل	ويقولك جوزينو
وتصرف عليه	وعلى عروستينو
خريستو خد قرار	يشتغل حرامينو
راح يسرق بنك	قام الناس ماسكينو
قبضوا عليه	وحطوه في الحبسينو
وخدوه للقاضى	قاله ليه تسرقينو
خريستو قال	علشان أجيب مم لباولينو
القاضي قاله براءة	روّح للبامبينو

قالوا ليه تسيبه خريستو مجرمينو

كان لازم تعاقبه تجلده وتسجنينو

قال القاضى دا مسكين محتاجينو

هيعمل إيه ربنا معاه ويعينو

خريستو روّح ومش مصدقينو

إن ربنا نجاه من السجنينو

وقال توبة لله أكون حرامينو

دخل بيته لقى مراته وباولينو

قالتله ياخريستو أنا حاملينو

عيط خريستو ووقع مسورئينو

حكاية

حكاية تيجى ، ووراها حكايــــات

يـدوب نبدأ ، نلاقـى النهايـــــات

نروح نيجى ، نتوه فـى متاهــات

قلـوب عايشـة ، تتألم بنبضــــات

بصـوت عالـى ، ولّا بـهمســـــات

وقلـوب ماتت ، صـوتـهـا سكــات

جرحها الزمن ، وساب علامـات

لسـان ينطـق ، مـن غير كلمـــات

ووشـوش تتبدل ، قـدام مرايــات

صاحبها واحد ، ولكـن بقناعـات

نـاس تضحك ، ضحكها دمعــات

والحزن جواها ، زى الروايــات

شرابهـا أسـى ، وطعامها فُتـــات

من يوم ولادتها ، ولحد الممات

وناس تايهة ، ضايعة في شتات

تلف في دواير ، تدور عن الذات

مفيش بكرة ، وضاع اللى فات

هى الدنيا كده ، مليانة حكايات

مرت دقايق ، أو حتى ساعات

أولها بُكا ، وآخرها تكون رفات

فعيش أيامها ، من غير حسابات

يرتاح بالك ، وتنتهى الآهات

دنيا تمثيلية

دنيـا تمثيليـة ، وكلـه علـى كلـه بيمثـل

إتفـرج عليهـم بيمثلـوا ، وإنـت إستهبـل

خليك إنت المُخرج ، وإياك تكون ممثل

تكالك على الله ، وعلى البشر ما تتوكل

تبقى إنت حويط ، واوعى تكون الاهبل

دا الدنيـا عايـزة الجــدع ، مش المغفـل

حُــر زى الطيــر ، والحبس مـا يتقبـل

يعافر معاها بقــوة ، وقصادهـا يستقتـل

صوته في الحق عالى ، صداه بيجلجـل

خطوته تهز الجبل ، والأرض تتزلـزل

عقد ملكية

شوف يابنى ، إياك تبص لحد ، غير ليا
شابة كانت ، أو طفلة ، في المهد صبية
أموتك ، وآخد عمرك وروحك ، بإيديـا
تموتينى ؟ ، للدرجة دى ، بتغيرى عليا
بأغير ، إنت ملكــى ، خلاص بقيت ليـا
طيب قوليلى ، إنتــى معاكى عقد ملكيـة
أيـوه معايا ، كتبت بنوده بدمـوع عينيـا
إنت طرف أول ، بائع ، وأنا المشتريـة
تعبت قلبى معـاك ، وغيّرت كتيــر فيـا
وأنا اللــى طـول عمرى ، عنيدة وقويـة
معاك ضعيفة جداً ، تغلبنى كلمة بحنيـة
حبيتك في رقتك ، وحبيت قسوتك عليا
حاولت ابعد عنك ، لكن حبك بقى غيـة

وصعب ييجى بعد الحب دا ، كراهيــة

هتمضى ، برضاك ، على عقد الملكية

أفرح قلبك وعيونك ، وتحلو الحياة بيا

ولّا تموت ، ويقولوا شهيد الرومانسية

الحاج قطب

إحدى قرى الريف عام ١٩٧٩

بعد صلاة العشاء في مسجد القرية ، يأتي الكهربائى لتركيب بعض الأجهزة الكهربائية بالمسجد ، فيتعجب الحاج قطب ويقول لإمام المسجد الشيخ خالد : هو إيه ده ياشيخ خالد ؟ ، وإيه اللى جاب الواد عبدربه الكهربائى ؟!.

ـ وزارة الأوقاف بعتت لنا ميكروفون ومراوح للجامع ياحاج قطب .

ـ إيه الميكروفون ده ؟.

ـ دا مكبر صوت للآذان ، علشان صوت المؤذن يسمعه أهل البلد كلهم .

ـ مكبر صوت ؟!، والله ما أنا فاهم حاجة ، سلامو عليكم أنا مروح .

إبتسم الشيخ خالد ورد : وعليكم السلام ياحاج .

قام عبدربه بتركيب الميكروفون والمراوح ، وعند آذان الفجر ، أذن المؤذن في الميكروفون ، ودوى صوته في أرجاء القرية ، فاستيقظ الحاج على صوت الآذان فزعاً من قوة الصوت ، وأيقظ زوجته ، وقال : لا إله إلا الله ، إصحى ياولية .

ـ فيه إيه ياقطب ؟!.

ـ مش سامعة صوت آذان الفجر عامل إزاى ، الصوت جاى من السما ، القيامة قامت .

وارتدى جلبابه سريعاً ، وهو يردد الشهادة ، فقالت له زوجته : رايح فين ؟.

ـ رايح الجامع ، عايز أقابل ربنا وأنا هناك .

وهرول للمسجد ودخله ، ليجد الشيخ خالد وبعض أهل القرية جلوس ، والمؤذن واقفاً ، ممسكاً بالميكروفون ، ويردد الآذان ، فقال : القيامة قامت ياشيخ خالد ، صوت الآذان جاى من السما ، الله أكبر ولا إله إلا الله .

فقال الشيخ خالد : قيامة إيه ياحاج قطب ، دا الميكروفون .

ـ يعنى صوت الآذان مش جاى من السما .

ـ لا دا صوت المؤذن أهه قدامك ، بيأذن في الميكروفون .

فذهب الحاج قطب للمؤذن ، وأمسك بتلابيبه ، وقال : هي الحديدة دى اللى هترفع الآذان ، أنا عايزك تطلع على المدنة وتأذن عليها من فوق وصوتك يجلجل في البلد كلها .

فقام الشيخ خالد وخلص المؤذن من يد الحاج قطب ، وقال : ياحاج قطب الدنيا بتتطور ، والميكروفون علشان يعلى صوت الآذان ويسمعه القريب والبعيد .

ـ أنا ما أفهمش الكلام ده ، لازم يطلع يأذن فوق المدنة .

ـ إهدى ياحاج قطب وتعالى نصلى الفجر .

وصلوا صلاة الفجر ، وإنصرف كلاً لحاله بعد الصلاة .

وكان الشيخ خالد بعد كل صلاة عصر ، يلقى درساً في شئون الدين لرواد المسجد ، يتبعه فترة للأسئلة لمن يريد فتوى أو تفقه في الدين ، وأثناء الدرس كان الحاج قطب مشتتاً لا ينصت جيداً للدرس ، على غير عادته ، بل كان يحدق في مراوح المسجد التي تدور .

وبعد أن إنتهى الدرس ، قال الشيخ خالد : كده درس النهاردة خلص ، حد عنده سؤال ؟.

فقال الحاج قطب ، بصوت عالى : أنا .

ـ إتفضل ياحاج قطب .

ـ أنا عايز أعرف المراوح دى ليه بتلف شمال ومش بتلف يمين ؟.

فضحك الشيخ خالد ، والمصلين ، وقال : اللى صنعها خلاها تلف كده ، ياحاج قطب .

ـ نرجعهاله ، إحنا من أهل اليمين ، إزاى وزارة الأوقاف تجيب مراوح من واحد بيخليها تلف شمال .

فضحك الجميع ، وغضب الحاج قطب : بتضحكوا على إيه ، أنا ماشى . وظل

الحاج قطب يذهب للمسجد لأداء جميع الصلوات ، ولكنه يشعر بالغضب من التطور الذى حدث بالمسجد .

وفى صباح أحد الأيام ، عاد أحد الفلاحين من أرضه وهو يصرخ : غيتونا ياهوه ، عرفة الإبيارى إتقتل .

وأسرع أهل القرية جميعهم ، لمكان الحادثة ليجدوا عرفة مضرجاً في دمائه ،

وملقى على ظهره ، ومضروباً على رأسه ، وبجاوره فأس ملطخ بالدماء .

وأتت الشرطة لتحقق في الجريمة ، وتبين أن سبب الوفاة ضربة على الرأس بالفأس .

وعندما أخذت الشرطة أقوال أهل القرية ، فقالوا أنهم لا يعرفون ما حدث فقد وجدوه مقتولاً هكذا ، لكن تعرف الكل على الفأس أنه يخص الحاج قطب .

ألقت الشرطة القبض على الحاج قطب ، وأودعته الحبس حتى العرض على النيابة ، مع أن أقوال أهل القرية أكدت أن الحاج قطب رجلاً طيباً ، ومن غير المعقول أن يقترف جريمة كتلك ، رغم أن الفأس ملكه .

وعُرِض الحاج قطب على النيابة ، فقال وكيل النيابة : إسمك إيه ياحاج ؟.

ـ قطب المنشاوى يابيه .

ـ عندك كام سنة ؟.

ـ خمسة وعشرين سنة .

تعجب وكيل النيابة ، وقال : خمسة وعشرين سنة إزاى ياحاج ؟!.

ـ معرفش يابيه ، أهو عمرى كده .

ـ طيب بلاش السؤال ده ، إبنك الكبير عمره كام سنة ؟.

ـ أربعين .

ـ ياحاج حرام عليك ، يعنى إنت أصغر من إبنك ؟.

ـ يابيه أنا هأفتكر إيه ولا إيه ، أنا راجل كبير في السن .

فضرب وكيل النيابة كفاً بكف ، وقال لكاتبه المنهمك في الكتابة : بتكتب إيه ؟ ، دا مش عارف سنه ولا سن إبنه ، إكتب عمره حوالى سبعين سنة .

ثم سأل الحاج قطب : الفاس اللى لاقوه جنب جثة عرفة بتاعك ؟.

ـ آه بتاعى .

ـ طيب ، قتلته ليه ؟.

ـ والنعمة يابيه ، ما قتلته ، وإسأل مراتى وعيالى ، أنا كنت معاهم في الدار .

ـ عندك شهود تانيين غير مراتك وعيالك .

ـ لا ، الشاهد ربنا .

ـ ونعم بالله ، شكلك هتغلبنا ياحاج .

ثم استدعى العسكرى ، وقال : خد الحاج رجعه الحبس .

وأثناء خروج العسكرى بالحاج قطب ليودعه الحبس ، أتى تقرير البحث الجنائى ، وبه وجود بصمات لشخص مجهول على الفأس مع بصمات الحاج قطب ، فكلف وكيل النيابة ضابط المباحث بالبحث عن صاحب البصمات .

وبعد البحث والتحقيق ، تبين أن البصمات الموجودة على الفأس لرجل مسجل خطر ، إسمه صبحى جزر ، كان على خلاف مع عرفة ، فكمن له في الحقل بعد أن سرق فأس الحاج قطب ، وعندما رأى عرفة ، قام بضربه على رأسه بالفأس فقتله ، وفر هارباً .

ألقت المباحث القبض على صبحى ، وأفرجت النيابة عن الحاج قطب ، وعاد لمنزله ، فاغتسل وذهب لصلاة العصر في المسجد .

وعندما دخل المسجد تلقاه الشيخ خالد ، وأهل القرية الموجودون في المسجد مباركين ومهنئين بالبراءة ، وقال الشيخ خالد : شفت بقى ياحاج قطب التطور خلى المباحث تعرف إن مش إنت القاتل ، وطلعت براءة الحمد لله .

ـ تطور إيه ؟ ، أنا خرجت بفضل ربنا .

ـ ونعمَ بالله ، دا بعد فضل ربنا طبعاً ، يلا نصلى العصر .

وبعد الصلاة ، قال الحاج قطب : أنا عايز أعرف برضه ليه المراوح دى بتلف

شمال ، وما بتلفش يمين .

فضحك الشيخ خالد ، وقال : أنا هأكلم المسئولين في وزارة الأوقاف يغيروا المراوح دى ، ويجيبولنا مراوح بتلف يمين .

ـ أيوه كده ، ربنا يجعلنا من أهل اليمين .

آه لو الزمن

آه لــو الزمـن ، يرجــع شويــة

ويغيـر حاجـــات ، كتيــر فيـــا

هأقوله وقّف ، وماتجريش بيا

بتجرى ليه ، ولّا دا عندك غيّة

دا العمر ضاع ، ومالوش ديّة

اهدى يازمن ، وماتجيش عليا

التركة

عصر يوم السبت ، إتصل ياسر هاتفياً بصديقه عصام : ألو ، إزيك ياعصام .

ـ الله يسلمك يایاسر ، مالك يابنى ، صوتك متغير .

ـ أيوه ، متضايق شوية ، ما تيجى تسهر معايا الليلة وأفضفض معاك .

ـ حاضر أجيلك ، تسعة كويس .

ـ تمام .

وأقفل ياسر الخط ، وفى تمام التاسعة حضر عصام ، ودخل الشقة ، وأحضر ياسر القهوة ، وجلسا في الشرفة ، وقال عصام : قولى بقى حصل إيه ؟.

ـ أهلى ياعصام .

ـ مالهم ؟.

ـ إنت عارف إنى مش مقصر معاهم ، وكل طلباتهم مجابة ، وعارف إنى مكنش ليا حظ في الجواز ومعنديش أولاد ، بس حسيت إنهم طمعانين فيا ، النهاردة قبل ما أكلمك عمتى جاتلى عايزة فلوس لإبنها يشترى عربية ، رغم إنى عارف إنها مش محتاجة ، فقلت لها إصبرى عليا أسبوع وهأحضرلك المبلغ اللى إنتى عايزاه ، علشان مفيش معايا سيولة دلوقتى ، أسبوع واحد ويكون المبلغ جاهز ، تفتكر ردت عليا قالت إيه .

ـ إيه ؟.

ـ قالت إبنها قدامه عربية لقطة ولازم تجيب الفلوس دلوقتى ، إتصرف ، فقلت لها ، خليه يكلم صاحب العربية ويديله عربون وبعد الأسبوع يكون المبلغ في إيده ، ردها التانى بقى وجعنى .

ـ ليه ، قالت لك إيه ؟.

ـ قالت هتعمل إيه بالفلوس اللى بتكنزها دى ، إنت لا ليك أخ ولا أخت ، ولا ليك عيال ، يعنى الفلوس دى في الآخر لينا ولعيالنا ، هاتها نتمتع بيها ، ومشيت زعلانة .

ـ تنفلق يا أخى ، ملعون أبوها ... ، لا مؤاخذة ياصاحبى .

ضحك ياسر وقال : إنت خليت فيها لا مؤاخذة ، طول عمرك لسانك طويل .

ـ ماهى حاجة تعصب يابنى والله .

ـ أنا مش جايبك علشان كده ، أنا عايز رأيك في موضوع بقالى فترة بأفكر فيه ، وبعد موقف النهاردة قررت أنفذه .

ـ موضوع إيه ؟.

ـ أنا بأفكر ، أقسم تركتى على عمى وعمتى ، وأريح نفسى من وجع الدماغ ده ، أنا عديت الخمسين ومفيش في عمرى قد اللى راح ، وعلى رأي عمتى

التركة فعلاً رايحة ليهم ولعيالهم ، يبقى ياخدوها من دلوقتى ، وأرتاح أنا .

ـ وإفرض تعبت ، أو إحتجت فلوس ، هيساعدوك .

ـ بصراحة مش عارف .

ـ شوف ياياسر ، ربنا شرّع الميراث بعد موت الإنسان مش قبل موته ، لما تموت بعد عمر طويل يبقوا يتقاسموا ، لكن بالوضع الحالي ده وكلام عمتك ، دول طمعانين فيك ، ومنتظرين إنك تموت ، لو قسمت تركتك عليهم محدش هيسأل فيك ، ولا هيساعدك .

ـ ياعصام ، أنا عايز أرتاح من الصداع ده .

ـ قولى ، أهلك يعرفوا ثروتك قد إيه .

ـ لا ، حتى شركتى محدش منهم يعرف عنها حاجة ، ولا حتى بيدخلوها ، والعقارات وأرصدة البنوك محدش يعرفها .

ـ كويس .

ـ إنت بتفكر في إيه ؟.

ـ بكرة هأقولك .

وفى يوم الخميس التالى ، إتصل ياسر بعصام ، وقال بصوتٍ مُتْعَب : إلحقنى ياعصام ، عندى وجع في صدرى وحاسس إنى بأموت .

إتصل عصام بصديقه دكتور ياسين وذهبا على الفور لشقة ياسر ، وأُعلنت وفاته ، فاتصل عصام بأهل ياسر ، وأخبرهم بالوفاة .

وتمت مراسيم الجنازة والعزاء ، وبعد إنصراف المعزين ، قام أهل ياسر بتقاسم ونقل محتويات الشقة ، حتى أصبحت خاويةً على عروشها .

وفى اليوم التالى للوفاة ، أحضر عصام محاميه لأهل ياسر لعمل الإجراءات القانونية ، لإعلام الوراثة وتقسيم التركة ، وفوجئ الجميع بعد أن قرأوا أوراق ياسر ، بأن كل تركته هي فقط الشقة والسيارة ومليون جنيه فقط ، رصيد في البنك ، وأنه قام ببيع شركته وعقاراته من فترة ، وقام بسحب تسعة مليون جنيه من البنك يوم الأحد السابق للوفاة ، ولا يعلم أحد مصيرها ، ولا مصير ثمن الشركة والعقارات ، مما أثار غضب الأهل .

وبعد إعلان الوفاة بيومين ، ذهب شاب لعم ياسر وأخبره مفاجأة ، وهى أنه إبن ياسر من زواج عرفى .

فقال العم : معاك مستندات يابنى تثبت اللى بتقوله .

- أيوه ، معايا ورقة الجواز العرفى .

- يابنى حط نفسك مكانى ، مفيش معاك مستندات وعايزنى أصدقك .

فقالت العمة : إنت نصاب وجاى تنصب علينا ، مش كفاية إبن أخويا إبن الكلب ، مات ، وما سابش غير شقة وعربية وشوية ملاليم .

فقال الشاب بثقة : أنا مستعد أعمل تحليل دى إن إيه ، علشان تتأكدوا ، طلع سليم أستلم ميراث أبويا ، ولو طلع مش سليم إعملوا فيا اللى إنتوا عايزينه .

فقال العم : أنا هأتصل بالمحامى ييجى يخرب بيتك ويعملك محضر نصب .

واتصل العم بالمحامى الذى حضر على الفور ، وسمع حديث الشاب كاملاً ، ثم أخذ العم جانباً ، وقال : شوف ياحاج ظهور الشاب ده ، هيعمل مشكلة كبيرة ، وممكن يرفع قضية هتعطل كل إجراءات الميراث ، أنا رأيى نعمله تحليل دى إن إيه زى ما قال ، ولو طلع نصاب أنا هأحبسه ، ونبعد عن سكة المحكمة اللى هتعطلنا .

إقتنع العم بكلام المحامى ، وذهبوا في اليوم التالى لأحد المعامل ، واخذوا عينة من شعر الشاب ، وعينة أخرى من شعر ياسر ، كان المحامى أحضرها من القبر بعد أن ذهب للمقابر ومعه التُربى ، وعينة ثالثة من عم ياسر للمطابقة وبعد يومين ظهرت نتيجة التحليل ، إيجابية ، الشاب إبن ياسر .

ذُهل أهل ياسر ، واستشاطوا غضباً ، وهموا بالإعتداء على الشاب ، فمنعهم المحامى ، وقال : دا دلوقتى معاه مستند رسمي ، لو رفع عليكم قضية هيكسبها بالتأكيد ، وهيسبب ليكم مشاكل كتير ، خلوه ياخد ميراثه من غير شوشرة أفضل .

فقالت العمة : ياخد إيه ، إحنا قعدنا سنين مستنيين اليوم ده ، اللى هناخد فيه فلوس ياسر ، يقوم ييجى ولد زى ده ياخد كل حاجة على الجاهز ، دا أنا أدفنه

هنا حى .

وإنهالت بالسباب على الشاب هي وأخيها وأبنائهم ، والمحامى يحاول منعهم من الإعتداء على الشاب ، الذى يجلس مبتسماً ببرود .

وأثناء هذا الشجار ، دخل رجل من باب الشقة ، وأطبق صمتٍ بذهول على الجميع .

فهب الشاب واقفاً ، وقال : إتفضل ياياسر بيه ، دا تقرير المعمل ، ودى ورقة الجواز العرفى .

فقال ياسر : شكراً يابنى تعبتك معايا ، تقدر تمشى ، وما تنساش تفوت على عصام يديلك بقية أتعابك .

وانصرف الشاب ثم إلتفت ياسر للمحامى ، وقال : إزيك يامتر ، الجماعة دول تعبوك مش كده ؟.

- جداً ياياسر بيه .

ضحك ياسر ، وقال : إنت إتعاملت معاهم كام يوم بس ، أنا بقى معاهم فوق الخمسين سنة .

هذا وأهل ياسر يكادون يلقون حتفهم ذهولاً ورعباً ، مما يحدث أمامهم ، ثم نظر لشقته الخاوية بحزن ، وقال : دا مفيش حتى كرسى نقعد عليه .

ثم جلس ياسر على الأرض .

أجمع العم قواه التي خارت ، وقال : الحمد لله يابنى إنك بخير ، دا أنا كنت هأموت من زعلى عليك .

وقالت العمة : إبنى حبيبى ونور عينيا .

إبتسم ياسر ، وقال : إبنك وحبيبك ونور عينيكى ، من شوية كنت إبن كلب ، عموماً دا مش موضوعنا ، طبعاً إنتوا نفسكم تعرفوا إيه اللى حصل اليومين دول ، هأحكيلكم .

ثم بدأ برواية ما حدث يوم السبت وبعد أن إنصرفت عمته من عنده غاضبة ، لأنه لم يعطيها المال الذى تريده ، لشراء سيارة لإبنها ، وحضور صديقه عصام عنده مساء ذلك اليوم ، حتى وصل لقول عصام .

******

عصام : أنا هاتصل بأصحابنا هشام ويوسف وياسين ، ونتجمع بكرة عندك هنا زى دلوقتى ، وعلى ما أظن محدش من أهلك يعرف حد من أصحابك غيرى ، مش كده برضه ؟.

ـ آه ، ما يعرفوش غيرك ، بس فهمنى إنت هتعمل إيه ؟.

ـ ما تستعجلش بكرة هتفهم ، أنا هأقوم أروح ، واكلمهم وبكرة نجيلك .

ثم إنصرف عصام ، وإتصل بأصدقائهما .

وفى مساء اليوم التالى ، حضر عصام لشقة ياسر ، وتبعه الأصدقاء الثلاثة ،

وجلس الخمسة على مائدة السفرة ، وقال عصام : أنا كلمتكم إمبارح وعرفتكم اللى بيحصل مع ياسر من أهله ، وعايزين نتفق على خطة نعملها ، وقبل أي كلام أو إتفاق ، ياياسر إنت واثق فينا كلنا .

ـ طبعاً ياعصام واثق فيكم ، إنتوا أقرب ليا من الأخوات .

ـ تمام .

فقال هشام : ما تفهمنا يابنى إيه اللى في دماغك .

ـ هأشرح لكم ، أولا هنركب كاميرات مراقبة سرية، في كل حتة في الشقة حتى الحمام والمطبخ ، تنقل لينا اللى بيحصل صوت وصورة ، هشام ويوسف رجال أعمال زى ياسر ، هنعمل عقود بيع وشرا بتاريخ قديم ، يبيع فيها ياسر شركته وممتلكاته من عقارات وخلافه ليكم إنتوا الإتنين ، بس علشان الأمانة وضمان الحقوق هنعمل عقود ضد لياسر بالممتلكات دى ، هتمضوا عليها إنتوا الإتنين .

ثم إلتفت لياسر ، وقال : فيه رصيد قد إيه في البنك ياياسر ؟.

ـ عشرة مليون .

ـ تمام ، بكرة الصبح تروح البنك وتسحب تسعة مليون ، وسيب مليون واحد بس ، وهتروح الشقة القديمة بتاعتى ، فيها خزنة تحط فيهم الفلوس ، ودا مفتاح الشقة ومفتاح الخزنة ، والورقة دى فيها أرقامها السرية ، غيّر الأرقام وحط

الفلوس ، ومش هيبقى فيه ممتلكات بإسمك غير الشقة والعربية والمليون جنيه وبس ، أما إنت بقى يادكتور ياسين ، مطلوب منك تطلع شهادة وفاة لياسر .

تعجب ياسر ، وقال : إنت عايز تموتنى يامجنون ولا إيه ؟!!.

فقال عصام : يابنى ما تستعجلش ، يوم الخميس الجاى ، هتتصل بيا وتتكلم بصوت تعبان ، وتقول إلحقنى ياعصام أنا عندى وجع في صدرى وحاسس إنى بأموت ، وأنا هأسجل المكالمة على المحمول ، وأقفل معاك وأتصل بالدكتور ياسين صديقى ونجيلك ، يديك حقنة منومة ، تخلى اللى يشوفك يقول دا ميت فعلاً ، مش تقدر تعمل كده يایاسين ؟.

فقال ياسين : أيوه .

فقال عصام : بعدها يمشى ياسين ويروح يحضر شهادة الوفاة ، وأنا أتصل بأهلك وأقولهم خبر الوفاة ، وندفنك ونعمل عزا .

فقال ياسر ضاحكاً : يخرب بيتك ، عايز تدفنى حى .

فضحك عصام : ياحبيبى ما تخافش ، هشام وياسين هيطلعوك من القبر ، بعد ما الكل يمشى من هناك ، وياخدوك بالعربية على شقتى ، وهناك هتبقى جنب الخزنة اللى فيها فلوسك ، وهاركبلك شاشة تشوف بيها اللى بيحصل في الشقة ، صوت وصورة ، وقتها هتعرف أهلك هيعملوا إيه لو إنت مت ، وبعد كام يوم تظهر ونقول الدكتور غلط ، وإنك كنت في غيبوبة وفُقت في القبر ، وناس

خرجوك منه بعد ما سمعوا صوتك ، وترجع لحياتك ، قبل ما حد منهم يطول مليم من ثروتك .

تبسم ياسر ، وقال : دى مش فكرة مجنونة وبس ، دى بنت مجنونة كمان ، أنا موافق .

فقال عصام : إتفقنا ، بكرة تروح البنك وتسحب الفلوس وتحطهم في الخزنة زى ما قلتلك ، وبكرة بالليل هنتجمع هنا إحنا الخمسة نكتب عقود البيع ، وورق الضد ، ونركب الكاميرات .

وفى صباح اليوم التالى (الأحد) ، ذهب ياسر للبنك وسحب التسعة مليون ووضعهم في الخزنة الموجودة في شقة عصام ، وعاد لشقته ، وفى المساء تجمع الخمسة وكتبوا العقود ، وقاموا بتركيب الكاميرات وجربوها ، ثم قضوا سهرتهم في مزاح وإنصرفوا .

وفى يوم الخميس التالى إتصل ياسر بعصام ، وأخبره بأنه يشكوا من آلام في صدره ، وأحضر عصام الدكتور ياسين الذى أعطى ياسر حقنة منومة وأعلنوا وفاته ، وبعدها أخبر عصام أهل ياسر بالوفاة ، فحضروا على الفور ، وأعدوا مراسم الدفن والعزاء ، وخرجت الجنازة حتى المقابر ، أما يوسف وهشام فكانوا يراقبون ما يحدث من بعيد دون أن يراهم أحد .

وبعد أن إنتهت الجنازة ، ودفنوا ياسر ، وإنصرف الجميع من المقابر ، ذهب يوسف وهشام على الفور ، وأخرجوا ياسر المخدر من القبر ، وذهبوا به إلى

شقة عصام ، وحضر إليهم ياسين وأعطى ياسر حقنة أفاقته ، ففتح ياسر عينيه وقال : أنا فين ؟.

فضحك الثلاثة ، وقال ياسين : إحنا في شقة عصام ، قوم يامرحوم وإقلع الكفن وخدلك دش ، عايزين نتفرج على اللى هيحصل .

قام ياسر وإغتسل ، وإرتدى ملابس كان عصام ، قد أعدها له في الشقة ، وجلسوا أمام الشاشة يشاهدون ما يحدث في شقة ياسر ، فقال ياسر : أومال فين عصام .

فقال يوسف ضاحكاً : في العزا بتاعك .

وعلى الشاشة تظهر عمة ياسر تضاحك إبنتها ، وعندما يأتي أحد من المعزين تبكى وتولول ، وانتهى العزاء ، وانصرف المعزين ، وعاد عصام لأصدقائه سريعاً ، ليشاهد معهم ما يحدث .

وما أن إنصرف الناس من الشقة ، وبقى بها أهل ياسر ، حتى قاموا بفتح مكتبه وأدراجه ، وإبتدأوا تقسيم موجودات الشقة من أثاث وأجهزة وملابس وأوراق وغيرها ، وهم يتشاجرون ، هذا يقول أنا سوف آخذ هذا ، والآخر يقول بل أنا ، وأخذوا كل ما في الشقة وأحضروا سيارات لنقلها حتى أصبحت الشقة خاوية على عروشها .

فبكى ياسر ، وقال : دول ما صبروش ، ومخلوش حاجة في الشقة .

ربت أصدقائه على كتفه ، وقال عصام : مش قلتلك ياصاحبى ، ما تقلقش أنا قلتلهم إنى هأجيبلهم المحامى بتاعى يخلص لهم إجراءات الإعلام الشرعى ، وإتفقت معاه يعطل الإجراءات على قد ما يقدر ، علشان ما يلحقوش ياخدوا الشقة أو العربية أو المليون جنيه .

ثم ضحك عصام ، واستطرد : أما عفش الشقة بقى ربنا يعوض عليك فيه .

فضحك الأصدقاء الخمسة .

فقال ياسر : أنا عايز ألاعبهم شوية .

فقال عصام : عايز تعمل إيه ؟.

ـ نطلع لهم وريث ياخد منهم التركة ، تقدر تشوف شاب يروحلهم ويقولهم إنه إبنى ، ويكون معاه ورقة جواز عرفى هأكتبها بخط إيدى .

ـ أقدر طبعاً .

ـ تمام ، وإنت من ناحيتك ، لما يظهر الوريث الجديد ، تخلى المحامى يوقف الإجراءات بحجة إن فيه إبن ظهر ، ولازم يتأكد من النسب قبل تقسيم التركة ، ونجهز عينة من شعرى نديها للشاب ده على إنها من شعره ، ويوسف وهشام يروحوا المقابر ويسيبوا عينة تانية من شعرى هناك ، بعد كده المحامى يروح المقابر ، وياخد معاه حد من أصحابنا على إنه تربى وياخدوا عينة الشعر من القبر ، وعلشان نأكد الموضوع أكتر ، المحامى يقول عايزين ناخد عينة كمان

من عمى وطبعاً العينات هتكون متطابقة ، وخلينا نتفرج شوية كمان .

******

إنتهى ياسر من رواية لعبته هو وأصدقائه ، ثم قال لعمه وعمته وهما ينتحبان : هو دا الملعوب اللى عملته فيكم ، دلوقتى تخرجوا من هنا ، ومش عايز أشوف وش حد فيكم تانى ، لحد ما أموت .

ثم إلتفت للمحامى ، وقال : يامتر ، يرجعوا كل حاجة أخدوها من الشقة ، وتسجيلات الكاميرات موجودة عندك ، لو مفيش حاجة رجعت تبلغ الشرطة بالسرقة .

فهز المحامى رأسه موافقاً ، ونظر الأهل لياسر بإستعطاف ، وقال عمه : هنرجع كل حاجة يابنى .

فقال ياسر ودموعه تنسال : إستعجلتوا موتى ، أنا كده كده هأموت في يوم من الأيام ، وبرضه هتورثونى ، أنتوا أهلى والتركة حقكم بعد موتى .

ثم إستطرد : بعد موتى ياعمى .

سِفْر الرجوع

القاهرة ـ القنصلية الإيطالية

ديسمبر ١٩٣٨

يستلم سكرتير القنصلية تليغراف من وزارة الخارجية الإيطالية ، ويدخل إلى مكتب القنصل .

ـ فيه إيه يابرونو ؟.

ـ تليغراف سيادة القنصل من وزارة الخارجية .

يفتح القنصل التليغراف ويقرأ ما فيه مصدوماً .

فيقول برونو :- إيه اللى مكتوب في التليغراف سيادتك ؟.

ـ مصيبة يابرونو ، الخارجية بتبلغنى إن المارشال بادوجليو جاى بعد أسبوع يفتش على الجنود بتوعنا هنا فى مصر .

ـ دى فعلاً مصيبة ، إحنا بنبعت للحكومة أوراق وهمية ، ومفيش جنود على أرض الواقع .

ـ أيوه ، وكده هيعرفوا إننا كنا بنعمل ده علشان نصرف مرتبات وناخدها لنفسنا ، دول هيعدمونا .

ـ عندى إقتراح لحل المشكلة دى .

ـ قول يابرونو .

ـ أنا أعرف يهودى مصرى إسمه جيداليا روزين ، عنده قهوة فى حارة اليهود ، والعاطلين اليهود بيقعدوا عليها دايماً ، نكلمه يورد لنا العدد اللى نحتاجه ، نعملهم جوازات سفر إيطالية ، ونلبسهم الزى الرسمى ، ونصرف لكل واحد منهم وجبه وخمسين قرش مصرى ، وندربهم على الوقوف والسير بالطريقة العسكرية .

ـ فكرة ممتازة ، إتحرك فوراً ونفذ .

وفى الحال بدأ برونو بالتحرك ، والتقى بيجداليا ، وتم تجهيز المجموعة فوراً ، وكان أحد هؤلاء الشباب اليهود ، شاب يهودى مصرى إسمه إيلى شمعون ، عمره عشرون عاماً ، وأعطوه جواز سفر إيطالى .

وجاء يوم التفتيش المنتظر ، وإنتظم الجنود فى صفوف مرتبة ، وملابس مهندمة ، وحضر المارشال بادوجليو لمقر السفارة ، وأبدى إعجابه بالجنود ، والقنصل وبرونو فى أسعد حال ، ومر اليوم على خير .

وفى اليوم التالى أرسل المارشال بادوجليو للقنصل أمراً للجنود بالإستعداد للسفر مع الجيش الإيطالى لأثيوبيا .

وما أن علم شباب اليهود بالأمر حتى ثارت ثائرتهم ، وكادوا يقتلون جيداليا ،

واستقر بهم الحال على الهرب والإختفاء ، حتى يتوقف الجيش والقنصلية الإيطالية عن طلبهم .

وهرب إيلى عند بعض معارفه فى المنصورة .

أوروبا

سبتمبر ١٩٣٩

اندلعت الحرب العالمية الثانية ، وأصبحت القارة الأوروبية جمرة من النار ، واليهود على مستوى العالم في رعب قاتل ، خاصة في أوروبا والشرق الأوسط ، وإيلى يزداد هلعاً ، فهو بين أن يكون يهودياً يخشى أن ينتصر الألمان ، وبين أن يكون إيطالياً في مصر التي ترضخ تحت الاحتلال البريطاني عدو إيطاليا .

مرت ست سنوات وانتهت الحرب ، وعاد إيلى لإستخدام هويته اليهودية المصرية ، ومن المضحك أن يصبح هو وزملاءه أبطالاً أمام الطائفة اليهودية ، لأنهم رفضوا الحرب مع وطنهم إيطاليا وحليفتها ألمانيا ، لولاءهم العظيم لقوميتهم اليهودية .

القاهرة ـ حارة اليهود

مايو ١٩٤٨

كان إيلى يجلس على مقهى جيداليا ، وإذا به يرى صديقه موريس ليفى قادماً

نحوه وهو يهرول فزعاً ، فوقف إيلى ، وقال :- مالك ياموريس ؟!.

ـ الحرب قامت يا إيلى .

ـ حرب إيه ؟.

ـ حرب بين العرب واليهود في فلسطين ، العرب والمصريين هيموتونا ، أنا معدش ليا عيشة هنا أنا هأهاجر على إيطاليا .

ـ تهرب وهنا بيتك .

ـ وأنا هأعمل إيه بالبيت وأنا ميت ، وإنت كمان إهرب .

ـ هأهرب إزاى ؟.

ـ إنت نسيت اللى حصل في القنصلية الإيطالية ، أنا وإنت معانا جوازات سفر إيطالية ، نروح القنصلية ، ويرحلونا ، ونمشى من هنا .

ـ أنا مش لاقى آكل ، ومش معايا مصاريف السفر ، تسلفنى وأسافر معاك ياموريس .

ـ منين ياحبيبى ، هو أنا حيلتى مليم ، دا أنا هأستلف تمن التذكرة من واحد قريبى وهياخد منى الدين بالفايز .

وتركه موريس وانصرف ، ولم تمر عدة أيام إلا وموريس قد غادر مصر إلى إيطاليا ، لكن إيلى لم يستطع أن يسافر وهو لا يمتلك ثمن تذكرة السفر .

ظل إيلى في مصر واستخدم هويته الإيطالية من جديد ، فهو إيلى شمعون داخل حارة اليهود ، أما خارجها فهو مواطن إيطالى ، وبدأ البحث عن عمل يستطيع من خلاله تأمين تذكرة السفر لإيطاليا .

ووجد بالفعل وظيفة براتب متميز في أحد الشركات بمساعدة جواز سفره الإيطالى ، ولم يخبر أحداً بشأن وظيفته الجديدة ، فكان يخرج كل يوم بملابسه الرثة ومعه حقيبة في يده ، ثم يذهب إلى أحد الحمامات العمومية ، ويستبدل ملابسه بالزى الرسمي لعمله في الشركة ، ولم يعلم أحد من جيرانه أين يذهب ولا ماذا يعمل ، ولم يعد أحد يتذكر ما حدث في القنصلية الإيطالية من عشر سنوات ، خاصةً أن كل زملاءه من شباب اليهود والذين كانوا معه في القنصلية هجروا الحارة وانقطعت أخبارهم ، حتى موريس صديقه المقرب قد هاجر لإيطاليا ، وجيداليا صاحب المقهى الذى اخذهم للسفارة قد مات ، فأصبحت هويته الإيطالية سراً لا يعلمه غيره ، وتحسنت حالته الاقتصادية بفضل الوظيفة ، وشارك تاجر إسمه الحاج محمد في تجارة الأقمشة بحى الموسكى بجانب وظيفته ، وبالطبع دون أن يعلم شريكه بشأن الجنسية الإيطالية .

وأصبح روتينه اليومى ، في الصباح يخرج من منزله كشاب يهودى ، ويستبدل ملابسه ويذهب لوظيفته كمواطن إيطالى ، ثم يغادر الشركة ويستبدل ملابسه مرة أخرى ، ويعود للحارة ، وفى السادسة من مساء كل يوم يذهب لشريكه في دكانهما لتجارة الأقمشة بالموسكى ، ويظل بالدكان حتى موعد إغلاقه في الحادية عشر من مساء كل يوم ، ثم يعود لمنزله بالحارة .

القاهرة

يوليو ١٩٥٢

قامت ثورة يوليو ، وتنازل الملك فاروق عن عرشه ، وبعدها بعام أُعلنت الجمهورية المصرية وانتهت الملكية ، واهتزت الأرض تحت أقدام اليهود فى مصر ، وبدأوا فى بيع جميع ممتلكاتهم ، وتهريب أموالهم خارج البلاد تمهيداً لخروجهم منها ، ما جعل البوليس المصرى يراقب اليهود فى كافة أنحاء البلاد مراقبة صارمة ، منعاً لتهريب مزيداً من الأموال خارج مصر ، خاصةً أن الدولة الصهيونية باتت تشجع اليهود للهجرة إليها وبالذات الأغنياء منهم .

تأزم موقف إيلى وأصبح يخشى أن تُكتشف هويته الإيطالية ، فتوقف عن الذهاب لوظيفته التي يعمل بها ، وهو مطمئن نسبياً أن الشركة لا تعلم شيئاً عن كونه يهودياً ، ففى الشركة يعرفون فقط أنه إيطالى مسيحى .

وذات يوم ذهب لدكانه فى الموسكى ، وجلس بجوار شريكه الحاج محمد ، الذى بادره بالسؤال :- مالك يا إيلى ؟.

ـ أنا خايف ، البوليس كل يوم يمسك حد من اليهود .

ـ وإنت مالك ومالهم ؟.

ـ ما أنا يهودى .

ـ يابنى دول ناس أشقيا علشان كده البوليس بيمسكهم ، وطول ما إنت في حالك

وبعيد عن العيال دول محدش هيمسّك .

ثم إستكمل حديثه :- أنا مش عارف ليه ولا مؤاخذة اليهود بيعملوا كده ، تهريب فلوس وتفجيرات ولبش ، ما إنتوا طول عمركم أباً عن جد عايشين وسطينا ، إيه اللى جرى ، تعرف أنا كان ليا إتنين أصحاب واحد قبطى كان إسمه توفيق ، وواحد يهودى ، تعرف اليهودى يبقى مين ؟.

- مين ؟.

- شمعون أبوك .

إندهش إيلى ، فبادره الحاج محمد قائلاً :- ما تستغربش ، أبوك كان صاحبى من واحنا عيال ، ياما لعبنا مع بعض ، ولما كبرنا إتشاركنا مع بعض فى تجارة ، وبعدين فضينا الشركة علشان كان عايز يشارك إبن عمه .

- كنتوا شركا كمان .

- أيوه ، أومال أنا شاركتك ليه ، إكراماً لصداقتى معاه ، إسمع نصيحتى يابنى ، إنت إتولدت هنا ودى بلدك ، دينك ده بينك وبين ربنا ، لكن مصر بلدنا كلنا ، إياك يابنى تمشى ورا العيال دول .

هز إيلى رأسه موافقاً ، ثم قال :- انا هأقوم أروح .

- إتفضل يا إيلى ، تصبح على خير .

غادر إيلى الدكان متوجهاً لمنزله فى حارة اليهود ، وقد قاربت الساعة على

منتصف الليل ، فتح باب الشقة ، وألقى بجسده على الأريكة منهكاً .

ثم هب فزِعاً ، عندما رأى خيالاً لشخصٍ ما يخرج من حجرة النوم ، متجهاً نحوه .

ـ إنت مين ؟.

ـ هههههه ، مش فاكرنى يا إيلى ، أنا موريس ليفى .

هرول إيلى نحو موريس ، بعد أن تبدل فزعه فرحاً ، واحتضن موريس بقوة :- موريس صاحبى وأخويا ، رجعت إمتى ؟.

ـ من فترة ، ممكن تقول كده من شهر تقريباً .

ـ حمد الله على السلامة ياحبيبى ، بس قولى ، إنت إيه رجعك مصر ، ودخلتها إزاى أصلاً ، ودخلت شقتى إزاى وإمتى ، وليه مغير شكلك ولبسك كمان ، إنت لابس لبس عامل ؟.

ـ واحدة واحدة يا إيلى ، هافهمك كل حاجة ، بس الأول فيه حد بيجيلك هنا ؟.

ـ لا ، ما إنت عارف إنى عايش لوحدى .

ـ تمام ، إسمع بقى اللى هأقولك عليه ، وركز معايا كويس .

جلس موريس على المقعد ، وقال :- أنا دخلت مصر بجواز سفرى الإيطالى ، وغيرت شكلى ولبسى ، علشان محدش يعرفنى ، أنا بعد ما سافرت إيطاليا

إنضميت للمنظمة الصهيونية ، وسافرت إسرائيل ، وبقيت ظابط فى الموساد الإسرائيلي ، وتم تدريبى على أعلى مستوى ، وبكده دخلت شقتك ، التدريب على أعلى مستوى .

ثم إستكمل حديثه :- أما سبب رجوعى ، فأنا بأقوم بعمليات تهريب اليهود وأموالهم بره مصر ، مع عمليات تانية مش هأقدر أقولك عنها ، وجيتلك علشان اخرجك بفلوسك من هنا .

- تخرجنى ؟!!! ، إزاى ؟!!!.

- إزاى دى بتاعتى ، المهم جهز فلوسك علشان تسافر إيطاليا ، وطننا القومى وحكومته مهتمين بيك جداً ، وفيه واجب عليك نحو وطنك .

- وطن إيه وحكومته اللى مهتمين بيا ، ويعرفونى منين أساساً ؟!!!.

- إسرائيل يا إيلى ، وطن اليهود ، أرض الميعاد اللى رجعنا ليها بعد الشتات .

صمت إيلى ثم قال :- أنا مش فاهم ، إيه المطلوب منى ؟!.

- تجهز فلوسك وتستعد للسفر .

- أنا فلوسى كلها فى التجارة بتاعتى مع الحاج محمد .

- عندك أى فلوس غير فلوس التجارة دى .

- لا .

ـ حلو أوى ، أنا عايزك تمارس حياتك عادى زى كل يوم ، وكل ليلة ترجع شقتك الساعة ١١ بالليل ، ما تتأخرش عن كده ، وما تقابلش حد ولا حد يجيلك بعد الوقت ده ، وأنا هأجهز فلوسك وترتيبات السفر .

ـ إزاى هتجهز فلوسى ؟!!!.

ـ ما تسألش يا إيلى ، إنت عليك تنفذ اللى أقولك عليه وبس .

ثم هب واقفاً ، وقال :ـ أنا هأمشى ، وعلى فكرة سيب كل حاجة فى الشقة زى ماهى ، مش هتحتاجها .

ـ وهدومى ؟.

ـ هدوم إيه يا إيلى ؟! ، الشقة واللى فيها مش ضرورى ، شالوم .

ـ شالوم .

غادر موريس وترك إيلى مندهشاً ، ولكنه إطمئن أن صديقه قد أتى لإخراجه من جحيم مصر المنصب على اليهود .

مرت ثلاث ليال ، ولا خبر عن موريس ، وفى الليلة الرابعة في تمام الساعة الواحدة صباحاً ، استيقظ إيلى على خبط على باب الشقة ، فقام وفتح الباب ليجد موريس أمامه وعلى كتفه حملاً ثقيلاً .

ـ إيه ده ياموريس ؟!!!!!.

ـ قلتلك ما تسألش .

وفى الثالثة صباحاً ، استيقظ سكان الحارة على إنفجار مدوى ودخان كثيف وألسنة من اللهب تخرج من شقة إيلى شمعون ، وبعد جهود مضنية من رجال الإطفاء ، وبمساعدة بعض الأهالى تمكنوا من إطفاء الحريق ، وتولت النيابة والبوليس التحقيق في أسباب الحريق ، وكان التقرير النهائي ، حريق ناجم عن إنفجار قنبلة ، تسببت فى إحتراق الشقة وتفحم محتوياتها بالكامل ، مع وجود جثة متفحمة فى غرفة النوم ، إستنتجت النيابة أنها لمالك الشقة إيلى شمعون .

نابولى ـ قصر المليونير فيرو جوليان

أكتوبر ١٩٨٢

يجلس فيرو على كرسى المكتب وظهره نحو المكتب ، ينظر من النافذة على حديقة القصر المزينة بأنواع الزهور .

يدخل الخادم حجرة المكتب ، ويقول :- سنيور موريس في القصر يطلب مقابلتك .

ـ خليه يتفضل .

يخرج الخادم ويدخل موريس :- بونجورنو سنيور فيرو .

يلتف فيرو بالكرسى ، ويشير لموريس بالجلوس :- بونجورنو سنيور موريس ، سعيد بوجودك .

ـ إزيك يا إيلى ؟.

ـ مش قلنا بلاش إيلى هنا ، أنا سنيور فيرو .

يضحك موريس :- طبعاً سنيور فيرو .

يقوم فيرو ويحضر كأسين من الشراب ، ويعطى موريس أحدهم ، ويجلس بجوار موريس على الأريكة ، ويقول :- إيه المطلوب ياموريس ؟.

ـ عملية جديدة .

ـ هي العمليات بتاعتكم دى مش هتخلص ؟.

ـ فيرو حبيبى ، إحنا بنخدم وطننا الأم ، إسرائيل ، وماتنساش إن كل اللى إنت فيه ده ملك للوطن ، مجرد تغطية .

ـ مش ناسى ، قول العملية فين ؟.

ـ مصر .

ـ مصر ؟!!!!!.

ـ أيوه .

ـ إنت نسيت إيه اللى عملناه قبل ما نخرج منها ؟.

ـ لا طبعا ما نسيتش ، دا مصدر فخرى .

ـ طيب وهنرجع نعمل إيه هناك ، مادمت لسه فاكر .

ـ فيرو عزيزى ، الوضع إتغير ، إحنا دلوقتى في سنة ١٩٨٢ ، وحروبنا مع المصريين إنتهت خلاص ، وبقى بينا وبينهم معاهدة سلام ، إحنا خرجنا من مصر من تلاتين سنة ومحدش هيفتكر اللى حصل وقتها .

ـ إيه المطلوب ؟.

ـ إنت عارف إن المصريين إضطهدونا كتير ، وخرجونا من مصر وعبدالناصر وعساكره إستولوا على أموالنا وممتلكاتنا في مصر ، وبما إن بقى فيه علاقة سلام ، يبقى يرجعولنا حقوقنا .

ـ حقوق إيه ؟ ، ما إنت عارف زى ما أنا برضه عارف إن اليهود خرجوا بفلوسهم من مصر ، وأى ممتلكات لينا سيبناها خراب .

ـ آه ياحبيبى عارف ، لكن العالم ما يعرفش ، أو بمعنى أدق إحنا أقنعنا العالم إنه ما يعرفش ، أنا وإنت وغيرنا من اليهود المصريين الأصل هنرفع قضايا وننزل مصر نطالب بممتلكاتنا ونطلب تعويضات كمان ، إنت مثلاً ليك بيت في حارة اليهود ودكان في الموسكى اللى إتشاركت فيه مع الحاج محمد ، وإنت المسكين خرجت من مصر هربان وحقك أخده المصريين .

ـ الحاج محمد ؟!!!!.

ـ أيوه الحاج محمد .

ـ موريس ، إنت عارف بتقول إيه ؟ ، كده ولاده ممكن يقتلونى .

ـ إيلى ، محدش يقدر يلمسك حتى .

ـ ما قلنا بلاش تقول إيلى .

ـ مش هتفرق إنت برضه ، إيلى شمعون ، هترجع لإسمك الحقيقى .

صمت إيلى ، وتذكر ما حدث ليلة خروجه من مصر ، ففي تلك الليلة ذهب موريس للحاج محمد في الدكان ، بعد أن راقبه بدقة وعلم أنه في ذلك الوقت من الليل يكون وحده ، وأخبره أن إيلى مريض بالبيت ويريد منه أن يذهب له ، فأخبره الحاج محمد أنه سوف يغلق الدكان ويذهب إليه على الفور ، ثم إنصرف موريس واختبأ في بير سلم منزل إيلى منتظراً قدوم الحاج محمد ، وعندما دخل من بوابة المنزل باغته موريس من خلفه وأمسك برقبته وكسر عنقه .

ثم حمله وصعد الدرج لشقة إيلى ، الذى فوجئ بموريس يحمل الحاج محمد على كتفه ، ووضع موريس جثة الحاج محمد على سرير إيلى ، ورجع للدكان وسرق كل ما فيه من مال .

ثم عاد مجدداً لإيلى ، ووضع قنبلة زمنية بعد أن ضبط الوقت أن تنفجر في الثالثة صباحاً ، ثم غادر هو وإيلى واستقلا تاكسى ينتظرهم في أحد الشوارع الجانبية يقوده أحد زملاء موريس من التنظيم الصهيوني ، وسافرا سوياً إلى

الأسكندرية حيث ركبا الباخرة المتجهة إلى إيطاليا .

وفى الثالثة صباحاً إنفجرت القنبلة في شقة إيلى ، واختفى الحاج محمد ولا يعلم أحد أن جثته هي التي كانت في منزل إيلى .

قطع موريس صمت إيلى ، وقال :- إيلى ؟!، سرحت في إيه ؟.

- إفتكرت ليلتى الأخيرة في مصر .

- ماتخافش إحنا عاملين خطة محكمة مفيهاش ثغرة ومرتبين كل حاجة ، جهز نفسك للسفر للقاهرة الأسبوع الجاى ، ودى تذكرة الطيارة وجواز سفر إسرائيلى باسم إيلى شمعون ، وأنا هأقابلك هناك في سفارة إسرائيل ، شالوم ياحبيبى .

- شالوم .

القاهرة

أكتوبر ١٩٨٢

وصل إيلى مطار القاهرة ، وخرج من صالة الوصول ليجد سيارة بلوحات دبلوماسية ، إستقلها وتوجه مباشرة لسفارة إسرائيل ، ليقابل موريس الذى كان يجلس مع السفير الإسرائيلى .

وبعد أن تبادلوا التحية ، قال موريس :- إحنا رتبنا كل الأمور وحضرنا الأوراق ووكلنا محامى يرفع القضية ، وهنخرج من هنا ، نقابله على طول ،

بعد كده هتروح حارة اليهود ، وهيكون معاك مصور علشان يصورك قدام بيتك وعند معبد موسى بن ميمون ، يومك مشحون معلش بس علشان بكرة ترجع إيطاليا ، ودى تذكرة السفر .

ـ وإيه لازمته التصوير ؟.

ـ حبيبى علشان ننشر الصور في الصحف العالمية ، ونكسب تعاطف شعوب العالم ، وكمان نشجع كل اليهود يرفعوا قضايا وياخدوا تعويضات من الحكومة المصرية ، إحنا هنبدأ بقضايا في المحاكم المصرية ، ولو الحكم مش لصالحنا هنصعد الموضوع للمحكمة الدولية ، ومش هنسكت إلّا لما ناخد التعويضات اللى تعجبنا .

ـ وياترى الفلوس دى مين هياخدها ؟.

يضحك موريس :- حبيبى ، فيفتى فيفتى ، النص للوطن الأم ، والنص لليهود المظلومين المساكين .

هز إيلى رأسه ، وكأنه كان يعلم الرد مسبقاً ، ثم قال :- وأنا هاروح حارة اليهود لوحدى .

ـ طبعاً ياحبيبى ، السفارة ضرورى ما تظهرش في الموضوع ، وإلّا القضية تاخد طابع سياسى ، إحنا عايزين الموضوع يظهر للرأي العام العالمى على إنه حنين اليهود المشتتين لماضيهم ، ورغبتهم في إسترداد حقوقهم أو التعويض

عنها ، وما تخافش إحنا هنبقى مأمنينك ، لكن من بعيد لبعيد ، ولو حصل أي شيء هنتدخل فوراً .

- تمام .

وخرج إيلى من السفارة حسب البرنامج الموضوع ، فذهب للمحامى وأكمل إجراءات وأوراق القضية ، ثم توجه صحبة مصور لحارة اليهود .

وفى حارة اليهود ، إلتقط المصور عدة صور لإيلى وهو يظهر مشاعر الحنين لماضيه ، ووقف أمام منزله القديم ، الذى تبدو عليه آثار الحريق ، حتى لفت إنتباه سكان الحارة ، فذهبوا إليه :- إنت مين ؟.

فرد إيلى بلهجة مصرية مكسرة :- أنا إيلى شمعون ، مصري ، وده بيتى .

لفت الإسم أحد رجال الحارة من كبار السن ، وقال :- إنت إيلى شمعون ؟.

- أيوه .

- شريك الحاج محمد تاجر الموسكى .

ارتبك إيلى ، وأجاب :- أيوه .

- دى حاجة عجيبة ، إيلى مات في الإنفجار اللى حصل في شقته ، وأنا بنفسى شفت جثته متفحمة والإسعاف بيشيلها ، وتانى يوم لقينا الحاج محمد اختفى ، ومن ساعتها محدش يعرف له خبر .

إزداد إرتباك إيلى وتوتره ، وأخرج جواز سفره ، ليثبت له أنه إيلى .

وما أن علموا من الجواز أنه إسرائيلى الجنسية ، حتى إنفجر الأهالى غضباً ، وأمسكوا بخناق إيلى والمصور وحطموا الكاميرا ، وأدخلوهما أحد الدكاكين عنوة .

وبعثوا من يحضر منصور حفيد الحاج محمد .

حضر منصور ، وقال :- خير يارجالة فيه إيه ؟!.

فرد العجوز :- ده يبقى إيلى شمعون ، اليهودى ، شريك جدك محمد يامنصور ، طلع حى ومش هو اللى جثته كانت في البيت يوم الإنفجار اللى بعديه جدك إختفى ، ومن وقتها محدش يعرف له طريق جرة .

ـ قصدك إيه ياحاج ؟!.

ـ والله يابنى أنا الفار بيلعب في عبى ومحتار ، إذا كان ده إيلى شمعون تبقى جثة مين اللى كانت في شقته ، وجدك راح فين ، فص ملح وداب ، وفلوس المحل إتسرقت ليلتها .

ـ عندك حق ياحاج .

ثم نظر لإيلى ، وقال :- إنت مش هتخرج من هنا إلا لما نعرف إيه اللى حصل ،هتتكلم ولا إيه ؟.

ـ أتكلم أقول إيه ؟، أنا معرفش حاجة .

فانهال الأهالى ضرباً بإيلى حتى إعترف بكل ما حدث في تلك الليلة .

ثم أصدر الرجال الحكم النهائي الذى لا رجعة فيه ، العين بالعين والسن بالسن ، وقتلوا إيلى وألقوا جثته في الشارع وإنصرف كلاً منهم لحال سبيله .

علمت السفارة الإسرائيلية بما حدث لإيلى وأبلغت السلطات المصرية ، والتي علمت بالملعوب الذى كانت تخطط له الدولة الصهيونية .

فأحضروا مندوباً من السفارة ليتسلم جثة إيلى من على الأرض ، وحققت النيابة وتم قيد القضية ضد مجهول ، فلا أحد يعلم من قتله .

أما موريس ، فما أن وصله خبر إيلى وما حدث له ، حتى ذاب جلده عن جسده رعباً ، وغادر مصر على الفور بلا رجعة ولا رجوع .

همهمات

ـ ألا تستحى ، تُقبلنى .

ـ وما الضير ؟.

ـ ألم تعلم بأن القبلة لا تجوز ، إلا إذا أتبعتها بضمة .

******

ننسى ، أو هكذا نعتقد ، ولكننا فى الحقيقة ندعى النسيان .

******

أصدق الرسائل ، هى تلك التى نكتبها ولا نرسلها .

******

وما الحياة إلا رسائل نكتبها ، على أمل أن يقرأها من كُتبت له .

******

قد يكون الفراق صعباً .

ولكنه أهون من أن تحب شخصاً لا يصدق مشاعرك تجاهه .

نمرض ونخف .

نتغنى ونفلّس .

نفرح ونحزن .

كله بيعدى ، إلا كسرة القلب ، بتاخدنا مننا ، وما بنقدرش نرجع تانى .

******

الصمت لغة .

لا يتكلمها إلا من يجيدها .

ولا يعرفها إلا من يفهمها .

الصمت لغة .

ذات معنى ، عندما يكون الكلام بلا معنى .

الصمت هو لغة القلب ، عندما يتوقف اللسان عن الكلام .

اصمت .

******

ربما يكون مجرد ألبوم صور ، لكنه حياتى بأكملها ، وطنى .

أصعب موقف ممكن تعيشه فى حياتك ، إنك تقابل شخص وتحس إن هو ده توأم روحك ، اللى بتدور عليه طول عمرك .

وإنه الشخص اللى بيكملك ، وإنه الشخص اللى بيكون حافز ليك ، واللى عايز تكمل عمرك معاه ، وتموت وإنت معاه .

وفجأة ، تلاقيه بيبعد عنك أو بيبعدك .

ما بتبقاش عارف إنت اللى أوهمت نفسك بإنه توأمك ، ولّا هو اللى أوهمك وفى الحالتين بتكتشف ، إنك إنت المخطئ .

******

نبتسم ، ونجتهد أن نُغيّر ملامحنا .

حتى لا يرى أحد ، ما نعانيه فى داخلنا .

أحياناً ننجح .

وأحياناً ، يطغى الحزن ، ويرتسم على تجاعيد وجوهنا .

******

عندما تكون الأيام باردة ، فاليوم المشمس يكون مميزاً ، الشمس تمثل فارقاً .

سوف تظل فى قلبى ، حتى نلتقى مرة أخرى .

ربما فى عالم أفضل .

******

الوطن مش مكان أو بيت .

الوطن قلب ، نسكنه ويسكن فينا .

الوطن إيدين ، تضمنا وقت التعب .

الوطن إحساس ، يملانا شغف .

الوطن حضن ، نموت فيه .

******

أصعب العلاقات ، هى العلاقة اللى شبه علاقة الأرض بالقمر .

بيدوروا حوالين نفسهم وحوالين بعض .

لا عارفين يقربوا من بعض ، ولا قادرين يبعدوا .

إن أردت أن ترى الوجوه الحقيقية للناس ، فانتظر الأزمات .

******

نحارب هذه الحياة ، وندعى أننا أقوياء ولا نبالى .

ولكننا فى الواقع ضعفاء .

نبالى ونعانى .

******

كنا نتشاجر مراراً ، ثم نعود ، لا يقلقنى خصامنا ، ولكنى أخاف أن يصيبها أذى وأنا لست موجوداً بجوارها لأحميها .

فهى ليست حبيبتى فقط .

إنها طفلتى .

******

عندما أشتاق لرؤيتها ، أذهب إلى أبيها ، حتى أرى وجهها فى عينيه .

تباً للبعاد .

لو إستطعت ، سوف أقلع قلبى من مكانه وأعطيكى إياه .

فما جدوى وجوده فى صدرى ، وهو ليس ملكى .

بل هو ملكك أنتى .

******

أغضبتنى ، ولكنى أعلم جيداً أن هذا الغضب سوف يتلاشى سريعاً بمجرد أن أسمع صوتها أو أرى عينيها .

فمن يستطيع الغضب من طفلته .

******

الأنثى يجب أن تكون طفلة .

فالسنوات خُلقت لعمر الرجال .

أما النساء ، فلهن الدقائق .

******

أبدا لم يكن وهماً ، لكنه حقيقى ، حقيقى .

ما تسألش .

لكن قلبى لو حكى عنك ، هتحب نفسك وتستغرب كمان .

******

ذاكرة العقل قابلة للنسيان .

أما ذاكرة القلب ، فلا نستطيع نسيانها أو محوها ، إلا بموت القلب .

******

إذا أردت أن ترى الذل وقهر الرجال فى صورته الحقيقية ، انظر إلى عينيى الرجل وهى تنزف دمعها .

فالرجل إذا بكى ، إعلم أنه فقد كل شئ .

******

ربى ، عظمت إبتلاءاتك لى ، فألهمنى صبراً .

ربى ، ليس جزعاً ، ولكنه ضعف فارحم ضعفى .

ربى ، أحسن خاتمتى ، واجعلها ميتة بلا ألم .

وبعد فترة طويلة ، تأتينى تلك الرسالة المقتضبة .

ـ كيف حالك ؟.

فلم أستطع الإجابة ، لأنى لا أعلم بالفعل كيف حالى .

******

ليس كل واقع حقيقة ، فربما يكون كذباً

وليس كل خيال وهماً ، فربما يكون حياة

******

قد لا تصلك رسائلى ، لكنى أكتبها كل يوم ، إن لم يكن بمداد دمى فبنبضات قلبى ، وطنى .

******

فى إستراتيجيات الحروب ، الخاسر الأكبر هو من كانت المعركة على أرضه ، حتى وإن إنتصر فى الحرب .

كذلك الحب ، الخاسر الأكبر هو من أحب ، وكانت المعركة فى قلبه .

ندعى القوة ، وتهزمنا لحظات من الحنين ، وطنى .

******

عندما تحب ، وتمنح من تحب كل ما لديك ، حتى حلم عمرك ، ثم يُكذبك فلا داعى للحديث ، فالصمت أبلغ وأفصح .

******

الوطن ليس بلداً نعيش فيه ، ولكن الوطن قلباً نعشقه ، ونشعر بالغربة بعيداً عنه .

******

أحببتها ، لدرجة أنى أصبحت لا أتمنى من الدنيا سوى أن أموت ورأسى على صدرها .

******

نحيا ونموت فى هذا العالم ، ولا نريد سوى أن يتذكرنا أحدهم

ولكننا بشر ، مصابون بآفة النسيان .

عرفت الكثير من البشر ، ولم أجد أحداً منهم فى وفاء السيجارة .

تشاركنى أحزانى ، وتمحو غضبى ، وتموت بين أصابعى .

******

We live and die in this world , just want to be remembered by somebody .

But , we are human being , suffering from oblivion .

THE LAST WORDS

الحمد لله على نعمة الرضا والصبر

الفهرس

